

آن هامبسون

لن أطلب الرحمة

لن أطلب الرحمة

قلبي ملكي، ولي مطلق الحرية في توجيهه، لن يخضع الا لسلطاني وسلطتي، ولن يستمع الا لصوتي، ولن يسيطر عليه احد.

هكذا قالت سارة لنفسها، ولكن هل خضع قلبها لها حين امرته بوجوب الوقوع في حب رودي، لا... بل اعلن تمرده على اوامرها ورفض الخضوع لمشيئتها، وثار عليها رافعا يافطات الاحتجاج في شوارع لياليها وايامها. فقلب سكينتها صخباً... ووحدتها صراخا، ومزق كل ما كتبت من عهود واحلام وامنيات، وغير كل المقاييس والمواصفات، واشعل في مخيلتها ناراً لانهائية. كيف تقاوم سارة ما فرضه عليها قلبها بالقوة؟ الى اين تهرب من ذاتها؟

رالف كان قريباً من القلب، فسمع جميع قصائده المتمردة. فما هي نهاية صراع سارة مع مروضها؟

١ ـ أين الحب ياساره؟

وقفت الفتاتان في منطقة الاثارات في سانت هيلدا قرب الصخور الشاهقة التي تشرف على الشاطىء. كانت الشمس المشرقة تلفحها والنسيم البارد يداعبها. ساره شعرها ذهبي لامع يحيط كالهالة بوجهها الصغير البيضاوي الشكل والواضح الملامح وجسمها متناسق، وعيناها زرقاوان واسعتان تلمعان بكبرياء وعجرفة، وتضيقان وقت الخطر أو التحدي. . . ونادراً ما تتدفق منها الدموع كبقية النساء. عاشت عائلتها، آل مالفرن في يوركشاير منذ أكثر من مئة سنة وهم يتحدّرون من أصل برودر القرصان المغير والغازي المرعب. قلبها بارد قاسي كجدودها الذين سلخوا وأحرقوا ووزّعوا أبشع الانتقام على أعدائهم وجيرانهم.

وقفت ساره مالفرن منتصبة رأسها مرفوعة الى الخلف وشعرها يداعبه الهواء وجسمها النحيل يميل وهي تشير الى الحقول حيث يرى في وسطها زنار من العشب في مناطق معينة.

قالت ساره وهي تشير بيدها لصديقتها فاليري:

ـ هذا العشب هو بقايا الاسوار أو التخوم التي كانت تفصل الاراضي بعضها عن بعض في السابق.

فاليري سمراء عذبة تقطر أنوثة وتعود صداقتها مع ساره الى ايام الدراسة. أكملت ساره شرحها:

ـ هل تتصوّرين الفلاحين ينكشون ويزرعون ويعملون نصف أيام الاسبوع في خدمة الاقطاعيين مقابل استئجارهم قطعة أرض صغيرة؟ لن أقبل أن اكون عبدة لأحد من أجل أن أعيش فقط. كنت

اقتل نفسي، وانتقم من المستبد المالك.

اجابتها فاليري بتعقل:

- ولكني لا أرى الفائدة التي سيحصل عليها المالك من موتك. لا أفهم انتقامك! حتماً سيكون هناك عبيد غيرك يعملون عنده بدلاً منك مقابل ايجار أرضه.

- انت على خطأ. كان عدد السكان في ذلك الزمن قليلاً جداً. العامل ثروة لا تعوّض، ولهذا السبب ارتقى الفلاحون في مراكزهم بعد الموت الاسود، الطاعون.

هزّت فاليري كتفها اسهجاناً. لم تكن تهتم للتاريخ، ولا تعرف نتائج الطاعون وتأثيره على العمال منذ مئات السنين. كانت ساره تحفظ التاريخ لارتباطه الوثيق بتاريخ عائلتها آل مالفرن وهي احدى أهم عائلتين في منطقة نورثمبرلند. والعائلة الثانية هي آل لينغارد التي انتقلت ايضاً الى يوركشاير بعد أن ورثت املاكاً واسعة في المنطقة. العائلتان في خصام متواصل منذ القدم وقد انتقل خصامهما الى يوركشاير. ومع مرور الزمن بدأت حدّة الخصام تتغير تدريجياً.

كانت فاليري واثقة من أن صديقتها الحميمة ساره تفضّل الموت على أن تخضع لحكم شخص آخر. تذكّرت ما حصل مع ساره يوم فسخت خطوبتها. قالت فاليري:

- اخبرني صديقي بول فاريتي انه استلم رسالة من اليكس.

سألت ساره:

- هل مازال في نيوزيلندا واستراليا؟

- نعم. لديه صديقة جديدة ولكنه لم يذكر في رسالته اذا كان يرغب الزواج منها.

- اتمنى لهذه الفتاة حظاً سعيداً معه.

ابتسمت ساره ابتسامة تنم عن الخبث والمكر. فقالت فاليري:

- بعض الفتيات وربما أغلبهن يفضّلن الرجال الاقوياء...

- هراء. لقد انتهت هذه العقلية منذ أيام جدتي لحسن الحظ. أنا

لن يحكمني رجل أبداً، ولست نادمة على فسخ خطوبتي من اليكس لينغارد. لقد وجدت بديلاً يناسبني، وهو سهل الانقياد وأستطيع أن افرض رأيي عليه. انني مسرورة مع رودي شاين.

رودي يحب ساره حباً أعمى، لو طلبت منه أن يتمدد ارضاً لتدوسه بقدميها لفعل، وكانت ساره واثقة بأن زواجها منه سيدوم طويلاً على عكس زيجات صديقاتها اللواتي سيتحطم زواجهن فوق الصخور، لأنه لا يرتكز على أساس متين مثل زواجها. سألت فاليري:

- معادلتك في الزواج تناسبك بلا شك. ولكن كيف ستكون ردة الفعل عند رودي المسكين من جراء تصرفاتك؟

- لماذا رودي المسكين! اعترضت ساره على نعته بالمسكين؛ رودي يعتبر نفسه الأوفر حظاً في يوركشاير.

كانت ساره تنظر الى المراكب والسفن التي تدخل المرفأ وتظهر بوضوح من موقفها المرتفع فوق الشاطىء. وتذكرت منذ سنة تقريباً وفي يوم عيد ميلادها الثامن عشر. حين أخبرت اليكس أن خطوبتها انتهت. حاول اليكس ان يقاوم بكبرياء. ثم تبخّر غضبه وبدأ يستعطفها. استمعت اليه ساره مسرورة وهو يشرح لها خيبة أمله ويأسه، وبأن ليس له اي شيء يعيش من أجله بعد أن خسرها. ثم تذكرت كلماته.

قال اليكس:

- سيقضي هذا النبأ على والدتي. انه اهانة، بل تحد من عائلة مالفرن لعائلة لينغارد.

- أنا لن ادمّر حياتي من أجل والدتك!

- كل هذا فقط لأنني... ولم يكمل اليكس حديثه.

- لماذا لا تقولها بصراحة... لقد حاولت اغتصابي قبل موعد الزواج. أنا من آل مالفرن ولا أقبل بهذه المعاملة... هذا جزاء فعلتك.

ابتسم اليكس بالرغم من تعاسته وقال:

- انيابك حادة وسامة كالحية. يوماً ما ستنشبينها في شيء قاس وتتكسر.

قالت ساره متحدية وهي ترفع رأسها بكبرياء.

- ابداً...

- لا تتركيني يا ساره. اذا كنت قد تصرّفت بطريقة غير مهذبة ولائقة فهذا فقط لأنك مثيرة جداً...

- انت لا تقبل الرفض!

قال اليكس مبرراً فعلته:

- ولكننا سنتزوج خلال أسبوعين.

- كان عليك ان تنتظر يوم الزواج. تصرفاتك فتحت عيني واقنعتني بأننا لو تزوجنا فستكون زوجاً مستبداً مسيطراً.

- على الزوج أن يكون أقوى من الزوجة.

- هذه صفات آل لينغارد. الحمدلله لقد اكتشفتها قبل فوات الأوان. كلكم متساوون منذ أقدم العصور. دائماً تريدون السيطرة على جيرانكم. ثم وقفت وقفة تحد واكملت:

-لكن آل مالفرن لن يخضعوا لآل لينغارد ابداً. جدودي علّقوا جدودك على المشانق.

أجابها اليكس بتحد:

- جدودي قطعوا رؤوس أجدادك وطافت فوق النهر بالدزينات.

فكّرت ساره بهذه الخصومة التاريخية التي وجدت اليوم ما يحرّك كوامنها. دام الخصام بين العائلتين مئات السنين وارتكبت الفظائع العديدة من كلا الطرفين. الجيل الجديد لا يرغب في استمرار هذه الخصومة، وخطوبة ساره واليكس كانت موضع ترحيب من العائلتين، اما الآن، وبعد فسخ الخطوبة قبل اسبوعين من حفلة الزفاف...

كان التبرير الذي قاله آل مالفرن لآل لينغارد:

- لم يناسبا بعضهما.

وردّ آل لينغارد على آل مالفرن:

- كان على ساره ان تكتشف ذلك بوقت اسرع وليس فقط قبل الزفاف بأيام.

اقنعت ساره اهلها بعدم جدوى هذا الزواج، وأخبرتهم ان اليكس بتصرفاته يحاول اخضاعها. وبالطبع وافقوها على رأيها، وبقيت الخصومة وفسخت الخطوبة. كل عائلة كانت تتجاهل الأخرى، أحسّ آل لينغارد بالاهانة وهم ينتظرون الفرصة المؤاتية ليثأروا. لو حصل ذلك قديماً لجرى الدم انهاراً من كلا الطرفين...

قالت ساره لفاليري:

- لو تزوجت اليكس لامضينا العمر نتقاتل، كان يصر على أنه السيد المستبدّ ولن أقبل أنا بذلك. الرجل الذي سيمتلكني لم يخلق بعد. ثم تابعت ساره حديثها عن اليكس: ماذا قال أيضاً في رسالته؟ هل سيعود؟ هل سيستقر هناك؟

- لم يذكر أي شيء من هذا القبيل في رسالته. أعتقد انه سيعود في النهاية شأنه شأن شباب لينغارد. يسرحون قليلاً ثم يعودون الى عشهم. كلهم ما عدا رالف.

اليكس سافر لينسى خطوبته الفاشلة وسيعود مع زوجته بعد أن ينسى.

سألت ساره:

- لماذا لم يحضر جنازة والدته كما فعل رالف؟

- لا أظن اليكس يهتم لوالدته وإلاّ لم يتركها مع همومها بعد أن فسخت الخطوبة.

- كانت والدته مهمومة وغاضبة لأنني خذلت ابنها البار ورفضته. الجميع يلومونني أنا، قال لي اليكس ان الصدمة ستقتلها! كانت امه في الثانية والسبعين من عمرها والناس يموتون عندما ينتهي أجلهم.

- هل صحيح ما يقوله الناس عنكم؟ انكم من سلالة قبيلة من

الاوغاد لا تعرف الخوف من الموت، لأن الموت شيء لا مفر منه؟
- نعم.
كانت ساره لا تخاف أي شيء حتى الموت. رأسها شامخة بكبرياء وهي تنظر الى آثار الهيكل القديم وأعمدته. أكملت فاليري حديثها قائلة:
- رالف يحب والدته. لقد عاد لحضور جنازتها وكان حزيناً اكثر من أولادها الاربعة الموجودين وقت الموت.
قالت ساره كأن موضوع حزنه على وفاة والدته لا يعنيها:
- أنا لا اذكر شكله لقد رحل عندما كنت طفلة. هو أجمل شباب آل لينغارد، انه من سلالة متشردين ويحمل بعض دم يوناني أيضاً.
سألت فاليري:
- يوناني؟ من أين؟
- كل آل لينغارد يحملون بعض الدم اليوناني. أحد اجدادهم تزوّج من يونانية.
حاولت ساره ان تتذكر شكله عبثاً. انه اسمر. كانت تخافه وهي طفلة. عندما تلقاه على الشاطىء، كان يمشي باتجاهها لا تهزه الرياح، يمر بها ساكناً صامتاً ويغمرها بطوله الفارع. كانت تخاف ان يحملها ويرميها فوق الصخور الشاهقة قرب الشاطىء وكأنها لعبة صغيرة بين يديه. هذه هي اللحظات الوحيدة في حياتها التي عرفت فيها الخوف. نعم كانت تخافه، وكم كان سرورها عظيماً حين ورث أملاكاً في اليونان ورحل الى هناك واستقر، فمنذ ذلك الحين أصبحت نزهاتها على الشاطىء اكثر اماناً وغاب خوفها.
سألت ساره:
- لم يعد رالف الى اليونان بعد، هذا ما قيل لي. لماذا بقي هنا يا ترى؟ لقد مضى شهر على وفاة والدته.
- ربما من أجل الوصية، او عليه بعض التصفيات الضرورية. هل هو اكبر اخوته؟

- لا. كولين كبيرهم وهو في الاربعين من عمره. رالف بين وليم ومالفين ويبلغ الثانية والثلاثين تقريباً.
قالت فاليري:
- رالف هو العازب الوحيد بينهم بعد ان تزوّج اليكس في نيوزيلندا.
- ربما لم يجد امرأة ترضى به... ام انه لا يميل الى اليونانيات!
سألت فاليري:
- اين يعيش في اليونان؟
قالت ساره متهكمة:
- اوليمبيا. تصوري بأنه يعيش في مقام لرمز وثني وهو من آل لينغارد.
أجابتها فاليري ساخرة:
- انتم آل مالفرن تحبون جيرانكم!
بدأ الهواء البارد يلفحها فاقترحت ساره ان تعودا الى المدينة حيث تركتا السيارة. وقفتا تراقبان السفن في حوض المرفأ وقالت ساره:
- هذا المركب يدخل المرفأ، انظري كم هو جميل.
ردت فاليري:
- لقد رأيته في المرفأ عدة مرات من قبل، اعتقد أنه معدّ للايجار.
- رأيت أشخاصاً مختلفين على متنه. يملكه رجل يستثمره في الايجار.
هزّت ساره كتفها بدون اكتراث ثم اخرجت مفاتيح سيارتها من حقيبة يدها:
- لا يوجد على متنه ركاب الآن.
أدارت ساره محرك سيارتها وتوجهت عائدة الى المدينة برفقة فاليري. فتحت فاليري موضوع زواج ساره بعد ثلاثة أسابيع.
فقالت ساره:
- لماذا تتحدّث في موضوع زواجي أنا ولا نتكلم في موضوع

زواجك وهو الاقرب. بقي أسبوع واحد على موعد زواجك اذا ما رغبت في تغيير رأيك.

قالت فاليري:

- لن اغير رأيي ابداً. ساكون سعيدة وأنا أقوم بكل الاعمال التي تكرهين القيام بها. أعمال المنزل وغسيل فوط الاطفال...

فردت ساره بمرح:

- وأيضاً حاضرة لارضاء رغبات زوجك متى يشاء.

- وأنت يا ساره، لماذا ستتزوجين رودي؟

- لديّ أسباب عديدة وآخرها انني سأغنم لقباً رفيعاً. كان لآل مالفرن لقب رفيع في قديم الزمان ولم يكن لآل لينغارد أي لقب... ساصبح الليدي ساره. يحف بي الخدم والحشم ويتراكضون لتنفيذ أوامري وطلباتي.

- واين الحب يا ساره؟

- الحب يا عزيزتي يسجنك. الحب للمرأة يميتها، تعطي وتعطي ثم تعطي، وبدون ان تدري تصبح المرأة خاضعة للرجل بارادتها. وعلى ماذا تحصل بالمقابل؟ لم ترد فاليري على سؤالها فأكملت: سأقول لك، ستكون سجينة رهن اشارة زوجها. تلبي له رغباته متى أراد هو. هذه الحياة ليست لي يا فاليري، أرغب في حياة أفضل من ذلك وقد وجدت لنفسي رجلا لين العريكة سهل الانقياد وغنياً. لن أحتاج للقيام بأعمال المنزل ولا غسيل فوط الاطفال... هذا اذا وجد أطفال. أما بشأن رغباته، عندما أرغب أنا سيحضر رودي لعندي وليس حين تصيبه النوبة العاطفية.

- تقولين يا ساره أغرب الاشياء. اي نوع من الزواج هذا؟ حتى المسكين رودي لن يحتمله!

- لن يكون لرودي أي خيار. لقد وجدت لنفسي رجلاً أستطيع قيادته.

مشت فاليري تتأبط ذراع والدها فخورة مسرورة، اليوم يوم

عرسها. احمرّت وجنتاها حين وصلت الى عريسها الذي كان ينتظرها بفارغ الصبر، راقبت ساره وجه غراهام الرصين بالرغم من صغر سنه، لن تستطيع فاليري أن تبدي رأيا في حياتها.

بدأت ساره تفكّر في عرسها بعد أسبوعين فقط. سيكون عرس الموسم بلا منازع وستحضره كل الشخصيات المهمة في البلد. آل لينغارد سيقرأون عن العرس ويسمعون عنه ولن يحضروه، سيتمنون لها كل الشر والأذى بدون شك. الزواج رابطة قوية وقسم ووعود والزوجان يقسمان بكل جدية على ربط حياتهما برباط أبدي. تمنّت ساره لفاليري ان تسير أمور الزواج معها على ما يرام حتى لا يندم احد من الزوجين على هذا القسم ولا على هذا اليوم المشهود.

تلى الزفاف حفلة استقبال في فندق رويال. سافر العروسان بعدها لقضاء شهر العسل. ولكن الحفلة استمرّت وستبقى لمنتصف الليل. كانت ساره أنيقة وجميلة في ثوب أشبينة العروس المصنوع من المخمل الأزرق بلون عينيها. بدت مرحة وجذابة يحيط بها المعجبون ولا يضايقها غياب خطيبها رودي عن الحفلة لانشغاله بيخته والتحضير للسباق في صباح الغد. بدأ المدعوون ينسحبون في فترات متقطعة أفراداً وجماعات، وكانت ساره في حلبة الرقص حين سمعت أحدهم يقول لها:

- وصل شقيقك، ويطلب منك أن توافيه الى الخارج حيث ينتظرك!

عبست سارة ونظرت الى ساعتها، انها الحادية عشرة. لقد طلبت من باري شقيقها أن يحضر ليأخذها الى المنزل في الثانية عشرة، اعتذرت لزميلها في الرقص قائلة:

- عليّ ان اذهب الآن. وصل شقيقي ولا أستطيع أن اتركه ينتظر.

- شقيقك ينتظرك أمام الباب الخلفي للفندق.

قال خادم الاستقبال حين شاهدها تفتش في المدخل عن أخيها.

عبست ساره من جديد لأن البرد قارس وليس معها شال. كانت

العتمة تلف المدخل الخلفي للفندق، مشت ساره الى حيث أشار لها خادم الفندق ورأت شبح سيارة متوقفة لم تتبينها في الظلام.

- ما الخطب. لماذا حضرت من مدخل الفندق الخلفي؟

وبدون انذار، أحسّت يداً قوية تمسك بها وتدفعها الى المقعد الخلفي للسيارة وبسرعة وقبل أن تتمكن من الاتيان بأية حركة أو صوت دارت السيارة وخرجت الى الشارع العام.

كانت ساره مذهولة من المفاجأة. لم تعرف اذا كان ما تشعر به هو الخوف أم الغضب. من يعاملها هكذا... يمسكها بقسوة ويرميها داخل السيارة كأنها كيس من البطاطا! من يجرؤ أن يفعل بها هذا الفعل؟ لا بدّ أنه يعرفها.. سألته:

- من أنت؟

- الا تذكريني؟ صوت هادىء بنبرة مؤنبة عاتبة: هل ما زلت تتجمّعين كالفأرة الصغيرة حين ترين رجلاً من آل لينغارد؟

- هكذا...

ارتاحت ساره في مقعدها وتفحّصت الرأس الأسود الفخور فوق المنكبين العريضين المتعجرفين. انه شقيق اليكس. لقد نجحت في تصرفاتها مع اليكس وسوف تنجح في تصرفاتها مع شقيقه اذا احتاج الأمر.

قالت ساره بهدوء.

- حسناً. يمكنك يا لوغنفار ان تدير السيارة الآن وتعيدني الى الفندق فوراً.

ضحك ضحكة رنانة وهو يشعر بغبطة فائقة:

- لقد اخطأت في معرفتي وفاتتك الحقيقة. جرت العادة ان تخطف العروس يوم الزفاف اما انا فأخطفك مسبقاً. اخطفك قبل اسبوعين من الزفاف. ثم لوغنفار خطف امرأة يحبها والعكس صحيح هنا.

قالت:

- الكراهية متبادلة. وهل تسمح وتدير وجهك لأعرفك؟

- واذا لم أفعل؟

- سأفتح النافذة وأصرخ طلباً للنجدة.

- خيّبت أملي فيك. لا يا آنسة مالفرن. أنا لم أتكبّد كل هذه المشقة كي أدير السيارة الآن وأعيدك. افتحي النافذة ان اردتِ!

مرّت ساره بيديها على الباب فوجدت أن مسكات النوافذ قد رفعت.

- لقد قلّلت من قدراتك. أعتذر لك.

ضحك ضحكة انتصار وقال:

- انت زبونة باردة، لقد أخذت حذري ورفعت جميع مسكات الأبواب لأنني أرغب لحظة الثأر منك أن تنجح وبالطبع أنت تقدرين ظروفي!

قالت بتحد:

- حتماً. ولكن أدر وجهك يا سيد لينغارد لأتعرّف اليك سأدير هذا المقود الذي يسير السيارة بين يديك!

- سيكون هذا مميت لكلينا. وأنت لا تريدين أن تموتي بعد؟

- أنا أعني ما أقول.

زاد من سرعة السيارة واهمل وعيدها. اخذت ساره نفساً كأن صبرها قد نفد وقالت:

- سيد لينغارد، اني انذرك...

قال ببرود:

- يمكنك مناداتي برالف. سنمضي هذه الليلة سوية.

مدّت يدها الى مقود السيارة لتديره. امسك برسغها بقبضته القوية فصرخت ساره متألمة:

- أبعد يدك عني! ولما لم يستمع لندائها كرّرت بغضب واضح: اترك يدي! قلت لك.

قال ساخراً:

- يا الهي كم انت امرأة مشاكسة. ترك يدها قائلاً: لا اعرف ما

الذي وجده شقيقي فيك!

جلست في المقعد تفرك يدها من أثر قبضته وفي عينيها عاصفة. من المفروض ان ترتعد خوفاً منه ولكنها كانت مرتبكة يغلفها الغضب والكراهية بدون بقية الاحاسيس. وصمتت قليلاً ثم قالت:

- هل هذا الثأر الذي صمّمت وخطّطت له هو سبب عدم رجوعك الى اليونان؟

- نعم، أجّلت عودتي الى اليونان كي أنفّذ خطّة الانتقام منك لاهانتك عائلتي.

وصل بسيارته الى موقف السيارات قرب رصيف الميناء وخفف سيره.

- كل خططك ستفشل ولن تصيب الهدف. ربما تعتقد أنني انثى ضعيفة لا حول لها ولا قوّة، ولكني أؤكد لك انني استطيع حماية نفسي منك ومن امثالك.

- انت انثى ضعيفة؟ هذا آخر ما يخطر ببالي.

وأدار وجهه نحوها وهو يضحك مسروراً ثم أضاف:

- هل تستطيعين حماية شرفك؟ لنرى... ثم دخل الموقف وهو يردد: يا لغروركم يا آل مالفرن. أنت حتماً تضخّمين رأيك بقدرتك.

ماذا يعني رالف؟ هل أخطأت ساره في تقدير خطّته؟ لماذا خطفها؟ كانت ضربات قلبها غير منتظمة بعد ان اوقف السيارة قرب رصيف المرفأ. سألته بهدوء مصطنع:

- الى اين تأخذني؟

قال رالف وقد غمر قلبه السواد.

- سنمضي الليلة سوية في السفينة. وبعدها سيرميك خطيبك ويهجرك... ستعرفين كيف يشعر الانسان اذا نبذه حبيبه قبل أسبوعين من الزواج. ستشعر عائلتك بالاهانة التي لحقت بعائلتي، والدك العجوز سيعرف ما قاسته والدتي من مرارة قبل وفاتها، قيل لي

انك ابنته المفضلة كما اليكس بالنسبة الى والدته. يأمل والدك باللقب الرفيع الذي ستنالينه من زواجك المرتقب والذي ستخسرينه حتماً. وسيتحطم قلب والدك كما تحطمت والدتي قهراً.

ارتعدت ساره وقالت:

- لم أصل بعد الى السفينة!

- سافعل. لا يخامرك أي أمل في الهروب. مسألة أمتار قليلة ونصل الى السفينة. يمكنك أن تصرخي طلباً للنجدة، ولكنك توافقيني ان المكان خال تماماً ولا أمل في وصول أي نجدة اليك. حتى لو حاولت ان تصرخي سارميك في الماء وأغرقك.

كان يمزح، لكن ساره كانت واثقة بأنه يعني ما يقول فقالت بتعجب:

- ستغرقني؟ نحن نعيش في القرن العشرين؟

- سالتقطك فوراً. لا تجربي هذه اللعبة معي. أعدك يا آنسة ساره مالفرن بأنك ستندمين على هذا العمل.

ونزل من السيارة وفتح بابها بمفتاح خاص قائلاً: قبل ان تصعدي الى السفينة عليك ان تتصلي بوالدك من مركز الهاتف العمومي هذا. اطلبيه وقولي له انك ستمضين الليلة مع صديقة...

حاولت ساره أن تركض هاربة ولكنه التقطها بين ذراعيه القويتين وهزّها بعنف. وقبل ان تستعيد وعيها كانت قد أصبحت داخل غرفة التلفون الضيقة وهو بقربها. فقالت تستفزه:

- لا بأس. سأطلبه وأصرخ بسرعة طالبة النجدة...

- اذا حاولت ذلك سأقطع خط التلفون فوراً. حاولت ساره ان تبتعد عن جسمه ولكن الغرفة ضيقة جداً.

- انت عنيدة وأنا أعرف بأنك تحبين والدك. ترأفي بقلبه الضعيف، أنا واثق بأنك تفهمين ما أقول.

صحيح. هي تفهم الوضع. حين يسمع والدها نداء النجدة، سيسمع كذلك صوت رجل يهدّدها قبل أن يقطع الخط... ستقتله

وتمتمت ساره:

- سيطلب شقيقي نجدة الشرطة. كانت واثقة بأنها لن تتحدّاه.

- سأشعل عود ثقاب وتطلبين رقم هاتفك.

كاد يسحقها بجسمه وهو يحاول اخراج علبة الثقاب من جيب سترته. تردّدت ساره قليلاً ثم رفعت سماعة الهاتف وطلبت الرقم. تقبّل والدها كلامها بدون أن يخامره أدنى شك. كان معتاداً على مبيت ابنته خارج المنزل. سألته اذا كان شقيقها قد ترك المنزل لاصطحابها فأجابها بالنفي.

أمسكها رالف بذراعيه بسرعة وحملها وهي تناضل بعنف. وبأقل من نصف دقيقة كانت قد اصبحت على ظهر السفينة. وعندما بدأ ينزل وإياها السلالم. صرخت:

- اتركني!

تجاهل أوامرها. كانت تنزل السلالم المظلمة وهي واثقة بأنها لن تقع أو تنزلق. وان حدث ذلك ستقع بين يدي رالف القويتين!

٢ - سفينة الكراهية!

وصل رالف وساره الى غرفة الاستقبال في السفينة. اضاء النور ووقفت ساره قرب الطاولة في وسط الغرفة، لم تشعر بالخوف بل بالكآبة. كان ينظر اليها ويتفحصها كأنه يراها لأول مرة، نسيت للحظات الخطر الذي يحيق بها، تفحصته ايضاً عن كثب. كان شعره اسود، وعظام وجنتيه بارزة وقساوته واضحة في ملامح وجهه. سمرته الشديدة ورثها عن اجداده اليونانيين. في باطنه براكين متأججة تحت سطح هادىء، يشبه بشكله تمثالاً منحوتاً من الحجارة.

عبست ساره. هل سيكون هذا الرجل سهل الانقياد مثل شقيقه؟ تذكرت خوفها منه وهي طفلة صغيرة تلهو على الشاطىء... شعرت بلهيب الغضب في داخلها يوازي خوفها منه. وتذكرت. لن تخاف من اي رجل!

- اخبرني عن خطتك المعقدة التي صممتها. قالت وهي تجلس على الاريكة وتضع حقيبة السهرة فوق الطاولة قربها. ام تفضل ان تفاجئني بها؟

- لا ابداً.

جلس رالف على طرف الطاولة ولف رجليه وهو يراقبها عن كثب. لم يكتم تعجبه من هدوئها الذي استقبلت به الوضع الراهن، فأجاب:

- الخطة ليست معقدة. انها ابسط ما يمكن، الا تعتقدين ان الخطة البسيطة تكون اكثر فعالية؟

لم تجبه ساره ولكنها هزت رأسها موافقة.

ـ ستبقين برفقتي هنا هذه الليلة. في الصباح الباكر سيحضر حبيبك ذو اللقب الرفيع ويجدك معي. ستكون النتيجة ان لا يحصل زواج بعد اسبوعين.

قال ذلك وقلب جريدته وبدأ يتصفحها بفضول كأن وجود ساره لا يهمه. فسألته:

ـ وكيف يعرف حبيبي ذو اللقب الرفيع اين انا؟

ـ لقد اوقفت هذه السفينة، «حسناء المحيط»، قرب يخت خطيبك. غداً، مثل كل المتسابقين، سيحضر باكراً . . . ولا اعتقد انك بحاجة لأشرح لك ما سيحصل؟

طبعاً لا لزوم. في السادسة صباحاً سيكون رصيف المرفأ كخلية النحل مكتظاً بالناس ككل يوم احد. بعضهم سيحضر لمشاهدة السباق وبعضهم لممارسة هواية الصيد والابحار في نهاية الاسبوع. الجو مريح وبسيط، تسوده روح الالفة والحرية، واصحاب اليخوت يتزاورون لشرب القهوة او الفطور. قالت مستنتجة:

ـ من الواضح انك قابلت رودي.

ـ التقيته صدفة منذ يومين.

سألته:

ـ صدفة؟

ـ حزرت. انتظرته حتى حضر. تحادثنا قليلاً عن السفن والسباق ثم دعوته لتناول الفطور معي غداً صباحاً.

سألته بفضول:

ـ وهل عرفته باسمك؟

ـ طبعاً. لقد عرفته بنفسي. لم يكن يعلم بخطوبتك السابقة لشقيقي؟

لم تجبه ساره عن سؤاله، هي لم تذكر خطوبتها السابقة الى رودي لأن هذا الأمر لا يعنيه، ثم اخبرت رالف بأن عائلة رودي قد انتقلت مؤخراً الى وثبي. سابقا.

ـ اذن انت لا تعرفين رودي الا منذ فترة قصيرة؟

اجابته باختصار:

ـ فقط منذ ثلاثة اشهر.

ـ كان غراماً عاصفاً بينكما. للأسف سينتهي كل شيء.

قال ذلك ثم عاود النظر الى جريدته وركز انتباهه عليها.

ـ اعتقد ان عليك ان تقدم لرودي البرهان على انني امضيت الليل كله معك على متن السفينة.

ـ هذا صحيح.

ـ ما شكل هذا البرهان؟

ـ هذا سيكون مفاجأة لك.

لم تحاول ساره ان تستفسر عن الطريقة بل قالت له ببرود مزيف بأنها ستخبر رودي بأنها خطفت . . . وهو سيصدقها.

ـ لا اعتقد. ان رودي عاشق غيور. سيتصرف اولاً ثم يفكر.

قالت مؤكدة:

ـ بل سيصدقني ويذهب الى البوليس ان طلبت منه ذلك.

ـ ولكنك لن تطلبي منه ذلك.

ثم تثاءب ونظر الى ساعته.

ـ ما الذي يجعلك واثقاً من انني لن اطلب منه الذهاب الى البوليس؟

ـ رأفة بوالدك العجوز المريض بالقلب. اليست هذه نقطة الضعف لديك؟ صحة والدك تهمك اكثر بكثير من اي اجزاء تتخذينه ضدي.

ـ انت داهية يا سيد لينغارد. نعم والذي يهمني اكثر من الانتقام.

ـ اسمحي لي ان اسجل اعجابي باعترافك، كنت اعتقد انه ربما تحاولين المراوغة. هل انت قوية حقاً كما تحاولين ان تظهري. هل عواطفك متحجرة وقلبك قطعة من الثلج؟

ـ بل قلبي من صوان شأن قلبك. اخبرني يا سيد لينغارد لماذا

انتظرت سنة كاملة لتبدأ في تنفيذ خطة الانتقام؟

نزل عن الطاولة ووقف امامها كالمارد. تذكرت خوفها منه وهي طفلة تجلس على الشاطىء، كان عليها ان تركض خوفاً منه قال:

- كنت اعيش بعيداً ولم ار في قصاصك ما يوازي تعبي وعذابي.

ومع مرور الزمن، سمعت من الأهل ما كابدته والدتي من ال… وعذاب. لم تنس جرح اليكس وحزنه يوم غادرها لينسى صدمت… واهانته. لقد حطمتها الصدمة.

- لا اظن اليكس قد جرح بهذا العمق. لديه الآن زوجة حميمة.

- كنت تنتظرين ان يأكل الحزن قلبه من اجلك؟ واضاف مبتغياً اذلالها:

- اعتقد انه لحسن حظه ان زواجه منك لم يتم.

- ولحسن حظي ايضاً. انك تلومني لموت والدتك!

هز رالف رأسه نفياً. لقد فاجأه سؤالها. ثم قال:

- الناس يموتون عندما ينتهي اجلهم اذا كانوا في الثامنة عشر او الثمانين. انا لا الومك على موتها ولكنني الومك لتسببك في التعاسة التي عاشتها في آخر حياتها، بدأت عندئذ افكر بالانتقام ولم احدد الوسيلة، وحين عدت الى هذه البلاد وعلمت بزواجك المرتقب، اردت ان اجرعك من الكأس التي سقيتها لشقيقي.

نظرت اليه محدقة. تذكرت ما قالته عن تحدره من سلالة المتشردين وقطاع الطرق وعن اجداده القساة. ابتسمت وهي تستغرق بتأملاتها. حتماً لا يمكنه ان يكون من سلالة الرموز اليونانيين لانهم ورعون ويعرفون الرحمة. ثم قالت:

- تود قصاصي من اجل ما قاست والدتك؟

- وهل تطلبين الرأفة؟

قالت تتحداه:

- انا لن اطلب الرأفة من اي رجل وبالاخص من احد رجال آل

لينغارد!

- من حسن حظك اننا نعيش في القرن العشرين. كنت اود ان اسحق روحك الوحشية. لو التقينا في الزمن الغابر لما كنت حظيت بهذه المعاملة اللينة.

معاملة لينة... لقد خطفها ورماها على المقعد الخلفي للسيارة... سيدفع ثمنها مع الفائدة حين تسنح الفرصة. وجال بنظره من رأسها حتى اخمص قدميها وهز رأسه مستغرباً:

- شيء مضجر. ما الذي رآه فيك شقيقي؟ ما الذي اعجبه فيك؟

- اهاناتك المتكررة لشكلي الخارجي وعدم تمتعي بأي جمال تسعدني. انا اكره ان انال اعجاب رجل مثلك.

وكان رده المؤلم السريع:

- لو كنت تعجبينني لكنت الآن في ورطة مخزية تجعلك من النادمين.

- قلت لك سابقاً انني قادرة على حماية نفسي.

- اتعتقدين ذلك! انا اشك في قدرتك.

وضحك مازحاً بينما كان ينظر اليها بنهم:

- ربما اكون مخطئاً... انا واثق انه سيسرني ان احملك معي الى اليونان واروضك هناك. نعم اعتقد ان ذلك سيكون ممتعاً للغاية. من المؤسف ان يكون ذلك غير ممكن... جبال اركاديان الوحشية تناسب اخلاقك.

- على العكس، انا احب رفاهية المدينة الحديثة، لن احتمل الحياة البدائية في جبال اوليمبيا.

- اوليمبيا ليست منطقة جبلية مع ان منطقة كرفيون ترتفع فوقها. المناظر الطبيعية هناك خلابة...

وشرد بأفكاره بعيداً عنها ثم غاب في تأملاته ولانت قساوة نظراته وهو يتكلم عن منزله في اليونان. ساد الصمت فترة ثم كسرت ساره طوقه وهي تتعجب لان خصامهما قد هدأ، وسألته:

ـ هل تعيش في قرية اوليمبيا؟

ـ اعيش فوق تلة صغيرة خارج القرية. جبال اركاديان ليست بعيدة. نظر اليها جاداً وقال:

ـ نعم. اعتقد انه سيكون ممتعاً ومسلياً ترويضك. . . ولكنني لا ارغبك. جمالك لا يروق لي، ان ذوقي في النساء فريد ودقيق على عكس ذوق شقيقي.

احمر وجه ساره وامسكت بحقيبتها بعصبية وقالت:

ـ اذا انتهيت من اهانتي ربما ترشدني الى غرفة نومي، وجودك قربي يجعلني اشعر بالتقيؤ.

قال يستفزها:

ـ كم انت باردة الاعصاب، اللعنة علي اذا لم تعجبني شجاعتك، الا يهمك ان زواجك قد انتهى؟ وانك خسرت اللقب الرفيع الذي كنت تحلمين بالحصول عليه؟،

سألته مسرورة:

ـ ما الذي يجعلك واثقاً مما تقول؟

ـ اعتقد ان اي زواج ينتهي اذا امضت الخطيبة ليلة مع رجل آخر بارادتها. . .

ـ كيف يكون بارادتي؟

ـ لا يمكنك ان تقولي انني خطفتك.

فقالت باصرار:

ـ طبعاً استطيع ذلك.

فسألها:

ـ حسناً. اترغبين الآن في النوم؟

هزت ساره رأسها موافقة وارشدها الى غرفتها. المركب اكبر مما توقعت، لقد عرفت فيها بعد ان فيه سبع غرف.

ـ هذه غرفتك. وفتح لها الباب وانتظرها لتدخل: اتمنى ان تكون مريحة. الحمام خارج الغرفة. الماء الساخن متوفر دائماً. اتمنى لك

نوماً هادئاً.

غرفتها نظيفة ومريحة. يوجد فوق طاولة الزينة اسفنجة جديدة للحمام وكل ما يمكن ان يلزمها من ادوات التواليت. خلف الباب روب زهري اللون مبطن يلبس فوق قميص النوم وخف. تذكرت ساره لفورها رجليها المتعبتين. خلعت حذاءها ولبست الخف. نظرت الى الباب من الداخل فوجدت قفلاً جديداً وضع للباب من الداخل، حتماً هذا القفل الجديد وضعه رالف، انه رجل غريب الاطوار، لقد فعل ما بوسعه كي تمضي ليلتها في راحة تامة بالرغم من الظروف التي تعيشها لكنه نسي ان يحضر لها قميص النوم.

بعد تفكير عميق قررت انها لن تستفيد اذا بقيت مستيقظة كل الليل. وضعت ما يلزمها في حقيبة الحمام وذهبت لتاخذ دوشاً. ملأت ساره المغطس بالماء الساخن واغتسلت. وعادت الى غرفتها واقفلت الباب من الداخل. نامت في تنورتها الداخلية التي تشبه قميص النوم.

استفاقت باكراً في صباح اليوم التالي. نظرت الى الساعة الموضوعة على طاولة الزينة، فوجدت انها تشير الى الخامسة والنصف، بقيت تتقلب في فراشها. كانت تشعر بعصبية وقلق ولا تعرف ما الذي يزعجها. رودي يحبها كثيراً وسيصدق كل ما تقوله له، ثقته بها كبيرة، عليها فقط ان تطلب منه ان يبقي الأمر سراً بينهما حتى لا يعرف والدها بالأمر. فوالدها سينهار ان عرف ان أحداً من آل لينغارد اجبرها على ان تمضي الليلة معه، عبست من الحقيقة المرة. فكرامتها قد هدرت. ربما كان عليها ان تقاومه وتجعله يحس بحدة اسنانها. كما حصل مع شقيقه من قبل، لكن رالف يختلف عن اليكس كلياً، ربما كان اغرقها في الماء كما قال.

ضاق صدرها بأفكارها وشعورها المتزايد بالقلق وفكرت ان تهرب لكنها عدلت عن فكرتها. رالف لن يترك لها فرصة للهرب والخطة قد شارفت على نهايتها، لو صعدت السلالم لوجدته بانتظارها. نهضت

من سريرها، لبست الروب الزهري فوق تنورتها الداخلية ودخلت الحمام، وبعد ان ملأت المغطس بالماء الساخن واغتسلت، شعرت بنشاط كبير وقالت لنفسها ليفعل رالف ما يريد، فهي مستعدة للنضال. سوف يقع هو في الفخ الذي نصبه لها حين تشرح لخطيبها حقيقة ما حصل، سيرى رالف بنفسه كم يثق بها رودي

لم تكن ساره مستعدة للمفاجأة التي اعدها لها رالف. لقد تركت باب غرفتها مفتوحاً حين دخلت الحمام. اما الآن فالباب موصد ولا تستطيع فتحه.

- هل استطيع مساعدتك؟

فوجئت ساره به يقف خلفها وهو يلبس معطفاً احمر واسود وقد طوى ذراعيه فوق صدره ينظر اليها مسروراً.

- الباب مغلق ولا استطيع فتحه، تركته مفتوحاً قبل ان ادخل الحمام... وبدأت ساره تفهم ما جرى. فقالت بعصبية: افتح الباب بسرعة.

- يا عزيزتي ساره، استعملي عقلك، انا اقفلته ولا مجال لفتحه، يجب ان يراك خطيبك على هذا النحو. الآن لا يمكنك ان تقولي انك اجبرت على البقاء بل بقيت الليل بارادتك.

- ان لم تفتح الباب سأصرخ وسيسمعني كل من في المدينة!

- افتحي فمك. هيا اصرخي. واضاف منذراً: بحق السماء ستندمين ان فعلت.

كان ساره غاضبة من تصرفها لأنها لم تعمل اي حساب لتصرفه هذا، كم كان الأمر سهلاً. تساءلت في نفسها: ماذا كان سيفعل لو انها لم تترك غرفتها وثيابها بهذه السهولة.

- كانت تصرفاتك طبيعية وكما انتظرت تماماً. ولو انك قررت ان تبقي في ثيابك كنت سأضطر كارها ان اجبرك على خلعها.

- وكيف ستجبرني؟

- كنت سأهدد بأن اخلع عنك ثيابك بنفسي. طريقتك ابسط واسهل، نسيت واجباتي كمضيف يا ساره ولم اقدم لك شاي الصباح، لقد فات الوقت لأن زائرنا سيحضر عما قريب، هل تساعدينني في تحضير الفطور؟

نظرت اليه ساره بغضب. اول مرة في حياتها لا تجد ما تقوله، كانت تفكر بالقيام بأعمال عديدة ولكنها كانت تعرف ايضاً ان اي عنف من جانبها سينتهي بالمزيد من الاهانة، فهذا الرجل يضحك منها ويسعده ان يراها تفقد صوابها. ستخيب ظنه.

وسألته:

- اعتقد انك تنتظر ان افقد رباطة جأشي. أليس كذلك؟

قال ببرود:

- بل اريد ان اراك تبكين.

- ذلك يحتاج لرجل ذي ارادة قوية ليحملني على البكاء.

ضحكت ضحكة مزيفة، فجمد في مكانه. ثم قال بهدوء:

- هناك رجال إرادة قوية حولك يا ساره.

- وهل هو انت؟

قالتها بطريقة ساخرة جعلت الدم الأسود يصعد الى وجنتيه.

هذه اول مرة يتأثر لجملة قالتها، انحنى فوقها وجعل وجهه مقابل وجهها وهو يتفرسها، ظنت ساره انه سيحاول عناقها وبسرعة تنحت الى الوراء وقالت:

- اياك ان تعانقني، اذا لمستني سأصفعك!

- انا اعانقك؟ هذه المرة كان هو الساخر: اخبرتك الليلة الماضية ان ذوقي في النساء فريد وخاص، وانا اعني ما اقول.

اضطربت لكلماته الموجعة، بالرغم من طبيعتها المتوحشة الا انها امرأة. ربما كانت ستجد ملامسته لها مقرفة ولكنه ساءها ان تتأكد من انه لا يرغب مطلقاً في عناقها.

سألها برقة ولطف زائدين وهو يبتسم:

- هل ستساعديني في تحضير الفطور؟

- لا. وتركته ودخلت غرفة الاستقبال.

وصلتها رائحة البيض المقلي. كان يحمص الخبز ايضاً ويصنع القهوة. دخل غرفة الاستقبال ليحضر طاولة الطعام، كانت تراقبه في عمله وتذكرت مرة ثانية خوفها منه حين كانت طفلة صغيرة تلهو على الشاطىء. لم تحلم يوماً ان هذا الرجل بالذات سيريها الويل ويجرح كبرياءها قال:

- سيحضر زائرنا خلال دقائق، لقد قلت له في السابعة.

مرت خمس دقائق اخرى، جلست ساره على الاريكة تنظر الى الخف الكبير في رجليها.وشكلها المقرف. كان الروب اقصر من تنورتها وشعرها مبلل بدون تمشيط او ترتيب.

- كم انت هادئة. من الواضح انك لا تحبين خطيبك ولكنني كنت اعتقد انك ستثورين لخسارتك اللقب الرفيع.

اجابته بدون اكتراث:

- هناك رجال آخرون يحملون الالقاب الرفيعة..

- ربما حظك في الزواج في المرة الثالثة يكون افضل من المرتين السابقتين. لا بد من مجنون ضائع يعرض عليك الزواج من جديد.

وبعد برهة سمعا وقع اقدام باتجاههما، توقفا عن الكلام ونظرا لبعضهما، كان صوت رودي وهو يقول:

- هل ادخل؟

كانت ساره هادئة ولكن صوت ضربات قلبها يصم اذنيها، الفرج قريب، دقائق وتنتهي المهزلة. مسكين رودي، حضر للفطور.. سيتحطم قلبه ولن يأكل شهراً آخر.

- تفضل ادخل. الفطور جاهز. ابتسم راضياً عن خطته التي كملت فصولها، ودخل رودي ثم وقف مشدوهاً كأن لسانه قد عقد. كانت ساره تنتظر ثورة غضبه كل لحظة. نظر رودي الى ساره بلباسها الداخلي ثم نظر الى رالف الذي قال مخاطباً رودي:

- هل هناك اي خطأ؟ كأنك ترى شبحاً يا صديقي.

ارادت ساره ان تتكلم، ولكن ماذا ستقول؟ كان رالف على صواب، لو تكلمت الى رودي عن خطفها لبدت مجنونة لأنها تجلس بلباس النوم كأنها استفاقت لتوها.

- شبحاً؟ ما الذي يحدث هنا؟ لماذا انت هنا يا ساره؟ كان صوت رودي منفعلاً ووجهه رمادياً. وقال مخاطباً رالف: هذه خطيبتي.

جال ببصره بين ساره ورالف من جديد كأنه لا يصدق ما يرى.

بقيت ساره صامتة. تغيرت تعابير وجهها الى الدهشة.

لماذا لم يصرخ رودي ويثور؟ ألأنه يثق بها؟ هل يفكر بأن هناك تفسيراً معقولاً لما يحدث؟ العزيز رودي سهل الانقياد. لو فتشت سنين عديدة لم تكن لتعثر على رجل مثله يناسب طبيعتها الخاصة.

- خطيبتك؟ لا يمكن ذلك!

لدقيقة بقي رودي صامتاً يحدق مدهوشاً بما يرى. قال:

- انها خطيبتي... ساره، لماذا لا تجيبين عن اسئلتي. ماذا تفعلين هنا؟ يبدو انك امضيت الليلة عنده.

- نعم يا رودي. اعترفت ونظرت الى رالف المسؤول عن وضعها المخزي واكملت: لقد نمت هنا في السفينة.

- ولكن...

ارتبك رودي واحمر وجهه خجلاً. نظرت اليه ساره ثم نظرت الى رالف الواقف فوقها كالبرج. وبدأ رالف يؤنب ساره بقساوة:

- ساره. ايتها الفتاة العابثة. لماذا لم تخبريني؟

ونظر رالف الى رودي يحاول الاعتذار والتأسف وقال له:

- لم اكن اعرف. اعني... ثم هز كتفه بدون اكتراث واكمل: ومهما يكن. انها الموضة الشائعة في هذه الأيام. ثم ضحك واضاف: ارجو ان لا تحمل لي اي شعور كريه؟ تعال ننسى الموضوع ونأكل فطورنا قبل ان يتلف.

استفاق رودي من ذهوله وغيبوبته. تجاهل الدعوة للفطور وقال

بعد ان تملكه قليل من الغضب:

ـ هي الموضة! ربما يكون ذلك صحيحاً بالنسبة الى رجل مثلك، ولكن هذا العمل غير مقبول ضمن دائرة معارفي واهلي!

ـ نحن احسن منكم. خرجت كلمات رالف بعد ذلك موجهة الى ساره: عليك ان تغيري طريقتك يا عزيزتي ساره بعد ان تتزوجي رجلاً من علية القوم صاحب شرف رفيع.

قال رودي:

ـ ستغيرين تصرفاتك. بحق السماء يا ساره. اتمنى ان لا تفعلي ذلك بعد زواجنا؟ ما هو عذرك؟ هل شربت الكثير البارحة في حفلة الزفاف؟

صرخة تعبر عن الدهشة خرجت من شفتي رالف بدون ارادته، نظرت اليه ساره ولم تفهم ماذا يقصد، نظرت ساره بعد ذلك الى رودي وقد برد غضبه واكتسى وجهه الماً مكان الغضب وسألته:

ـ هل تصدق يا رودي انني امضيت الليل في السفينة مع رالف؟

اجابها رودي باقتناع:

ـ هذا واضح ولا يحتاج لسؤال!

ـ انت تعرف انني ورالف...

لم تستطع صياغة كلمات سؤالها من الخجل. قال رالف بلهجة واثقة لا يعتريها اي شك:

ـ لماذا الخجل؟ لم تكوني خجلة الليلة الماضية... رودي يعرف اننا امضينا الليلة سوية. انه ليس مخبولاً كي تقنعيه ان كلاً منا نام في غرفة منفردة؟

سألته ساره:

ـ هل تصدق ذلك يا رودي ومستعد ان تتغاضى عما فعلت؟

اجابها رودي:

ـ وهل تركت لي اي خيار آخر؟ لقد خذلتني يا ساره. انا اعرف مدى الانحلال الاخلاقي في هذه الايام وكنت اعتقد انك تختلفين

عن الفتيات الاخريات.

قالت:

ـ والآن اكتشفت انني لا اختلف عنهن وما زلت ترغب في الزواج بي؟

هل خاب ظن رالف بهذه النهاية غير المتوقعة؟ كان ينظر الى رودي باستغراب.

ـ اي خيار لي؟ ردد رودي كلامه مرة ثانية: حفلة الزفاف مقررة بعد اسبوعين، وانا احبك حباً شديداً ولا استطيع ان اعيش بدونك.

تراجعت ساره في مجلسها فوق الاريكة الى الوراء واسندت شعرها الاشقر فوق المساند السوداء وهي تنظر الى رودي كأنها تراه للمرة الأولى، ماذا كانت تنتظر؟ كانت تنتظر شيئاً مخالفاً تماماً لما حصل. تنتظر انفجاراً، عنفاً، غضباً شديداً، تهديداً... والذي حدث كان بعض الحزن في عينيه وبعض التخاذل.

نظرت ساره الى رالف، لم يخف عليها كيف كان سيتصرف لو كان الامر معكوساً.

ـ العاشق المتسامح قال رالف مخاطباً ساره: لقد فشلت خطتي كما توقعت لها منذ البداية، كنت على حق. اللقب الرفيع من نصيبك بالرغم مما تكبدته من مشقة.

قال رودي:

ـ ماذا تقول. انا لا افهم شيئاً...

قالت ساره مخاطبة رالف وهي عابسة:

ـ لقد فشلت خطتك ولكن ليس كما ترغب.

سألها رالف مع انه كان يعرف تماماً ما الذي ستقوله:

ـ وكيف؟

ـ كما قلت. اللقب ما يزال من نصيبي ولكنني غيرت رأيي واكتشفت الآن انني لا اريده. وكما ترى يا سيد رالف لينغارد انك لم تنجح في قصاصي ابداً.

طأطأ رالف رأسه معترفاً بفشله وعلى فمه ابتسامة الرضى ولم يدل بأي تعليق.

٣ - الويل لك يا حبيبي

السيد مالفرن العجوز مريض في فراشه. شفتاه زرقاوان ووجهه متعب ويتنفس بصعوبة. رأسه فوق الوسادة يحدّق بابنته ساره بعينيه الصفراوين الضعيفتين. الحزن يغمرهما وربما بقايا دمع قد جف.

- كيف تفعلين بي هذا؟ تكلّم بضعف وصعوبة. أخذ نفساً ثم أكمل: تمضين ليلة مع أحد ابناء لينغارد في سفينة، كنت دائماً أقلق من مغامراتك في السابق ولكنها في معظمها كانت مغامرات بريئة، أما هذه؟ لقد جلبت العار للعائلة، أنت ابنتي المفضلة جلبت العار لنا الى الابد، توقف من جديد لـ تسترد انفاسه، لقد نال منك آل لينغارد فقط قبل اسبوعين من زفافك. فقد وزعت دعوة زفافك، وزعت.

قالت ساره:

- هذه رواية رودي عن الحادث، اذا كان ذلك يرضيك فأنا التي قبلته، أنا التي فسخت الخطوبة.

- لماذا تكذبين علينا؟ هل تظنين أنّ أحداً يصدقك؟

قال والدها هذا وتابع يلومها على فعلتها التي جلبت الفضيحة والعار لآل مالفرن جميعاً. اصفر وجه ساره وهي تسمع المزيد من اللوم من والدتها وهي تبكي. كانت تمسك بيد زوجها تهدىء من روعه وتوافقه على قوله بل تزيد قائلة:

- فتاة من هذه العائلة تعاشر رجلاً من آل لينغارد.

قالت ساره تذكر والدتها باليكس:

- كنت سأتزوج أحدهم ولم تتذمري.

- لقد فسخت الخطوبة لأنه حاول اغتصابك... مع أنه كان

ينوي الزواج. ما الذي دهاك لتعاشرية بدون أي ارتباط؟

الزواج يختلف. انه رابطة شريفة. لكن بتصرفك هذا لطخت سمعة العائلة. الآن آل لينغارد يشمتون بنا لانتصارهم الكبير في الحاق العار بنا. مسحت والدتها دموعها المتساقطة من عينيها: آه يا ساره، كيف تلحقين بنا هذا العار. انظري الى والدك المسكين. أنت سبب مرضه.

نظرت ساره الى الحقول الخضراء المحيطة بالمنزل. لم يخطر ببالها أنّ رودي سينشر خبر مغامرتها المزعومة فوق السفينة بهذه السرعة. كانت تظن انه سيصمت من أجل سمعته وسمعة عائلته العريقة ولكنه جرح في قلبه وكبريائه. كان يحبها كثيراً وقد جرح جرحاً عميقاً حين نبذته.

رودي لا يستطيع أن يخفي شعوره، كان يروّج قصتها ليبرر للجميع أنه هو الذي نبذها وفسخ الخطوبة لتصرفاتها المشينة.

تساءلت ساره في نفسها: الى أي عمق كان حبه رودي لها؟

هزّت كتفيها في عدم اكتراث ولا فرق الآن، لديها أمور اكثر جدية لتعالجها. حين سمع والدها نبأ مغامرتها فوق السفينة من أحد اصدقائه كاد ينهار، داهمته نوبة قلب وقال الطبيب انها الاسوأ واذا حالفه الحظ يشفى منها ويكمل حياته كالسابق.

هل تخبر ساه أهلها القصة الحقيقية؟ لا. الحقيقة أسوأ من رواية رودي. انهم يؤمنون الآن أنها ذهبت مع رالف لينغارد بارادتها. أما اذا أخبرتهم انه خطفها ورماها على المقعد الخلفي للسيارة وعاملها معاملة سيئة... سيموت والدها قهراً. ولكن لماذا حقد رودي عليها؟ لم تكن تعتقد أنه حقود، كان دائماً سهل الانقياد، ولم تلحظ عليه مرة أنه خالف لها طلباً. كان ينفذ لها كل رغباتها بدون تردد لكنه تغير كلياً حين أخبرته انها تنوي فسخ خطوبتهما. تحوّل الى منتقم وتوعدها بأن يفضح اسم عائلتها ويمرغها بالوحل. تساءلت ساره: لو أنها ترجته أن لا يفعل... ولكن هي لن تترجى أي رجل أبداً.

قالت والدتها:

- حان وقت حبوب الدواء يا عزيزي. سأجلب لك الماء لتشربها.

قال والدها بصوته الضعيف:

- لا أريد أي دواء. لا أريد أن أعيش.

قالت والدتها بخوف:

- كلا...

التفتت ساره اليه وقد انخطف لونها خوفاً عليه واقتربت من سريره قائلة:

- عليك أن تتناولها يا والدي.

قال الرجل العجوز وهو ينظر اليها نظرة عتب:

- كي ابقى على قيد الحياة؟ ولماذا؟

ارتجفت ساره. كان والدها يحبها ويفضلها على اخوتها. ولا يرد لها طلباً مهما كان. ويسامحها على كل اخطائها. لا يمكنه الآن أن يسامحها على زلتها هذه قال

- أنا لست جباناً ولكنني لا أستطيع أن أرفع رأسي من العار، فعلتك مشينة وكون شريكك من آل لينغارد، هذه فضيحة طنانة. انهم يتشدقون فرحين بمصيبتنا.

- قل لي ماذا افعل؟ قالت ساره مخاطبة والدها وقد نفد صبرها: صدقني انا لا أستطيع أن أسكت تهكمهم.

قال والدها بعد جهد:

- بل هناك طريقة.

عبست ساره وهي تفكر:

- كيف؟ سأفعل كما تقول.

- عليه أن يتزوجك. قال ببطء شديد: هذا يخفّف من شماتتهم ويوقف الاشاعات. لو كان يملك ذرة من الشرف سيوافق على الزواج منك.

- يتزوجني؟ ستجبرني على الزواج من رالف؟ لماذا؟ نحن نكره

بعضنا.

خرجت الكلمات من فمها بدون أن تشعر. نظرت الى الحقول خارج الغرفة لانها لم تعد تحتمل نظرات والديها المخزية نحوها.

سألها والدها:

- تكرهان بعضكما؟ رفع رأسه عن الوسادة بجهد: تمضين الليل معه وانت تكرهينه كنت ستتزوجين خلال اسبوعين. كان عليك أن تنتظري قليلاً.

- لا يمكن أن تكرهيه قالت والدتها وقد أفزعها اعتراف ساره: "لا يمكن ان تكون ابنتي مستهترة وخليعة؟

- هل تفعلين ذلك كنزوة وبمزاج؟ سألها والدها: الشباب اليوم يفعلون ذلك ولكن ابنتي!

تعب والدها من التفكير. أرجع رأسه الى الوراء فوق وسادته. مدّ يده ليمسك بيد زوجته علّه يستمد منها العزاء والراحة.

شعرت ساره بكراهيتها لرالف تتأجج كأن شرايينها قد تمزقت. لو مات والدها الآن سيقع اللوم على رالف. تذكرت ما قاله عن والدها وعبست. لقد أراد أن يحطمه مقابل ما قاست والدته في آخر سنة من عمرها. كانت واثقة ان رالف يريد لوالدها أن يتألم لا أن يموت! نظرت الى والدها الذي تحبه كثيراً وهو أقوى حب عرفته في حياتها، بل حبها الاوحد، يجب ان لا يموت قبل أن ينتهي أجله... لا لن يموت! قالت ساره تدافع عن نفسها:

- لا يا والدي. أنا لم أفعل ذلك كنزوة. وأنا لست مستهترة كما قالت والدتي.

اشرق وجه والدها قليلاً كما ارتفع صوته عن السابق حين تكلم:

- وهذه الكراهية التي تحدّثت عنها... هل هي كلام فقط؟

لحسن حظها أنه لم ينتظر جوابها بل أكمل حديثه وطلب منها ان تتصل برالف وتتفق معه على الزواج. من الواضح أنه كان يعتقد أن رابطة عاطفية تجمعهما.

- وهل ستتناول حبوب الدواء الآن. تمتمت ساره: هل أجلب لك الماء.

سألها والدها:

- هل تعديني برؤية رالف من أجل امكانية اتمام الزواج؟

كلماته كانت بمثابة انذار أخير لها. سحبت ساره نفسها بصعوبة وأجابت:

- انا آسفة يا والدي. لا أستطيع أن أتزوج من رالف.

- اذن لن أطيل حياتي أو أعمل أي جهد لأعيش فترة اطول.

- ياعزيزي...

قالت زوجته وقد بدأت نوبة بكاء. أخفت ساره وجهها بيديها تحاول أن لا ترى المشهد المؤثر الحزين وبدأ الثلج يذوب في قلبها، فملكها غضب شديد... لو تستطيع أن تجعل رالف يتألم من أجل فعله معها؟ كيف؟

- عليك أن تتزوجيه يا ساره قالت والدتها. كيف تتركين والدك يموت؟

- امي. لا مجال للزواج. حتى لو رضيت به هو لن يرضى بي.

قال والدها وقد أخفى وجهه بوسادته كأنه لا يريد أن يراها:

- اذن أمضيت الليلة هناك من أجل مزاجك. تشعرين بالملل؟

حضر الطبيب وتكلم مع ساره وهو خارج:

- عليك أن تستعدي لما هو أسوأ. انه يرفض الدواء وبدونه لن يعيش، مثل جميع مرضى القلب كان والدك يتناول الحبوب بانتظام لسنين ونغير له نوعها من وقت لآخر أو نزيد من حجم الجرعه، وكنا سنصل يوماً ما لوقت لا نستطيع معه فعل أي شيء. مع العناية الطبية يمكنه أن يعيش سنين اخرى، كان دائماً راغباً في الحياة... واليوم هو محطم لا يريد العيش ويرفض تناول الدواء، لا أعرف ما الذي جرى له. لن يعيش طويلا بدون حبوب الدواء.

- كم سيعيش يا دكتور؟

ـ حوالى الاسبوعين وربما أقل.

قال الطبيب ورماها بنظره استغراب أغلقت، ساره الباب خلفه وتساءلت في نفسها ما اذا كان قد وصل الى سمعه أنباء مغامرتها المخجلة وتصرفاتها الفاضحة. من المؤكد انه سمع بها فرودي أذاع الخبر ونشره بين كل معارفها.

خيبة الأمل من ضعفها وغليان في نفسها من عدم قدرتها في أن تنتقم من رالف جعل ساره تجوب الحديقة أكثر من ساعة وهي تفكر في حلّ لمشكلتها. والدها سيموت. حياته قد اختصرت بفضل رالف وخطة انتقامه الفاشلة، يريد أن ينتقم منها لشيء فعلته ضمن حقوقها المشروعة. تذكرت مرة ثانية رالف وهو يؤكد لها أنه يرغب في أن يجعل والدها يتألم كما تألمت والدته قبل موتها. هل يملك رالف ضميراً؟ تساءلت في نفسها، اذا كان لديه ضمير سيتألم معها لموت والدها لانه تسبّب في موته، لمعت فكرة جديدة في ذهنها، يجب أن يعرف رالف ان والدها يرفض دواءه وسيموت وهو المسؤول عن موته وستحمله وزر عمله.

وصلت ساره الى المرفأ. فتشت عن السفينة «حسناء المحيط» لم تجدها. لقد رحلت ويا لخيبة أملها، لا بد أن شخصاً آخر قد استأجرها. هل رحل رالف بعد أن تكلّلت مهمته الانتقامية بالنجاح؟

دخلت غرفة التلفون الصغيرة قرب رصيف المرفأ. طلبت بيته وانتظرت طويلاً. ردّ عليها خادم، فسألته عن رالف. . . وبأقل من نصف دقيقة كان يقول:

ـ رالف يتكلم.

ـ أنا ساره مالفرن. أريد رؤيتك لأمر بالغ الاهمية.

عملت جهدها ان يبقى صوتها هادئاً. صمت.

ـ لا استطيع رؤيتك حتى المساء.

ـ لا بأس. سانتظرك. . .

تواعدا على اللقاء في آثار دير الراهبات القديم. وصلت ساره قبله واحتمت تحت قنطرة قديمة تنتظره. الهواء بارد يلفح وجهها ورجليها ويرسل شعرها الذهبي على وجهها بشكل عشوائي. ما تزال الشمس مشرقة. كانت تقف وعيناها باتجاه السلالم حيث سيحضر رالف. انتظرته طويلاً. ثم وصل أخيراً يتهادى. وجهه الاسمر وشعره الاسود وجسمه الفارع وهو يمشي بهدوء فوق العشب. كانت تنظر اليه باهتمام ومتأكدة بأنّ تأخره مقصود وتعلم أنه لن يعتذر لانه متعجرف ومتكبر. كم يسرها أن تراه مسحوقاً ولكن ذلك غير ممكن. . . وقفت تستقبله، كان ينظر اليها مشدوهاً مأخوذاً بجمالها وقد علت وجهه ابتسامة مرحة.

ـ أهكذا كان شكل نساء مالفرن المتوحشات في الزمن الغابر؟ بدأ يسخر منها: ولكنك لم تطلبي الاجتماع في شهر آب لتستمعي الى مديحي. ماذا تريدين؟

ـ والدي يموت. وأنت المسؤول.

كانت ساره تراقبه لترى تأثير كلماتها عليه.

ـ لا أعتقد انني أفهم ما تقولين.

ـ قلت أنك تريده أن يتألم، وقد تمّ لك ما تريد. . . والان يتعذر شفاؤه لقد أمهله الطبيب فترة اسبوعين فقط ليعيش.

ـ هل الصدمة من فسخ خطوبتك ستميته؟

ـ لهذا السبب أردت مقابلتك، أريدك أن تحمّل ضميرك وزر موته لآخر حياتك، اذا كان لديك ضمير؟ اعتقد ان لديك ضميراً وأنا استغرب الأمر.

ـ لا اعتقد أنّ الصدمة من فسخ الخطوبة ستقتل والدك، هناك سبب أهم. عليك ان تشرحيه لي.

شرحت ساره له مشهد والدها المريض فوق سريره. . . وقبل أن تنتهي من شرحها زفر زفرة تعجب وغضب. قال:

ـ هذا حدث لان رودي أعلن للجميع انه هو الذي فسخ

الخطوبة، لماذا لم تعترضي وتدحضي قوله وتنشري الحقيقة الدامغة؟
ذكرته قائلة:

- ولكن هذه كانت رغبتك. انتقامك كان يرتكز على أن ينبذني رودي.

- انا لا أهتم بخطتي بعد الآن. أنا أنظر اليها الآن من وجهة نظرك، لقد فشلت خطتي السابقة، لماذا لم تستغلّي فشلها؟

- قلت لوالدي انني أنا التي فسخت الخطوبة ولكنه لم يصدقني.

- بدأت افهم... والدك يعتقد أنك امضيت الليلة معي للتسلية؟ توقف يمعن النظر اليها ساخراً وهل يؤمن الآن بأنك فتاة عابثة؟

- لو كنت مكانه ألا تفكر مثله؟

الظاهر ان هذا الحديث معه لم يؤت ثماره لأن رالف لم يكن مستعداً ليقبل اتهامها له لما وصلت اليه حالة والدها. قال:

- ولماذا لم تخبري والدك بالحقيقة... وبأنك خطفت وأجبرت على المبيت في المركب؟

- انني خطفت... ومن قبل أحد ابناء لينغارد؟

لم تكن ساره تحتاج لقول المزيد، عبس رالف وقال بخشونة:

- كم المحبة مفقودة بين عائلتينا! اذن مغامرتك المزعومة هي التي تزعجه...

- انه أكثر من منزعج ويرفض رفضاً قاطعاً أن يعيش ليواجه الفضيحة والعار. لن يأخذ الدواء وهذا يعني أنه لن يعيش.

- لم يكن لدّي أي شك بأن أحد آل مالفرن جبان.

- والدي ليس جباناً، انه عجوز مريض جداً، كيف تجرؤ ان تقول عنه ذلك!

- حسناً... حسناً كم أنت سريعة الغضب! لنبقى هادئين ونفكر سوياً في حل.

- ليس هناك ما نستطيع ان نفعله، فقط رغبت أن تعرف الوضع

قبل أن ترحل، أريدك أن تعيش مثقل الضمير الى نهاية عمرك نتيجة عملك الفظيع.

- اصمتي يا فتاة، لا بدّ من أن نفعل شيئاً ما، لنفكر بصمت وكفيّ عن هذه الثرثرة. لقد قلت سابقاً وأكرّر الآن. لا أعرف بحق السماء ما الذي رآه فيك شقيقي واعجبه.

كان رالف يرتدي بدلة رسمية من التويد، خطوط وجهه قاسية لا تلين وبه ما يوحي أنه رجل خارج على القانون مثل بقية شباب آل لينغارد.

- هل صرح والدك بأنه يرغب في الموت؟

- بالتحديد. وهو دائماً يعني ما يقول.

- لا أظن والدك يفعل ذلك ويحملك مسؤولية موته يا ساره بدون ان يذكر لك خياراً آخر، هل اقترح عليك أن تجعلي خطيبك رودي يغير رأيه ويتزوجك؟

- ابداً.

- هل أنت واثقة؟ أنا أعرف أنك لا تحبين الشاب وهو أيضاً لا يحبك.

- نعم انه يحبني. قالت بسرعة والشرر يتطاير من عينيها: كان حبه عميقاً وقوياً ولهذا السبب تألم كثيراً حين نبذته.

- هراء! أي نوع من الرجال هو هذا الحبيب الذي لا ينفجر ويثور غضباً حين يعلم أن خطيبته قد امتلكها رجل غيره. اسوّد وجه رالف واحتقن: كنت أخنقك ببطء لتتألمي اكثر وتطلبي مني الرحمة.

بالرغم من قوة ارادتها الا أنها ارتجفت. كانت وحيدة معه، الحقول خلفها والصخور الشاهقة المشرفة على البحر أمامها، مرة ثانية تذكّرت خوفها منه وهي طفلة صغيرة تلعب على الشاطىء، حين كان يأتي باتجاهها كانت تركض هاربة مذعورة منه.

- يجب أن اعود الآن.

قالت وهي تتمنى لو أنها لم تحضر للقائه، خطتها للانتقام منه قد

فشلت وهي تشعر بخيبة أمل جديدة.

ـ الى أين تذهبين. لم نتوصل لأيّ حل للمشكلة التي اتيتِ من أجلها. مازلت لا أستطيع أن اتصالح مع آل مالفرن. أعتقد أنك تكذبين حين تقولين انه لم يعطك خياراً آخر، انا واثق من كراهيتك لخطيبك ولكنني أعتقد أن والدك يرضى لو حاولت أن تقنعي رودي ان يتزوجك، هل انا على حق؟

ـ لا. لا، أنت على خطأ.

تذكرت والدها وخياره الاخر، احمرّت، وجنتاها أدارت وجهها لتخفيه عن رالف لكنه لاحظ احمرار وجنتيها، امسك بذقنها وأجبرها على النظر الى عينيه القاسيتين وقال:

ـ أنت تخادعين.

ابتعدت عنه ولكنه أمسك بذراعها من جديد احست أصابعه تغرز في لحمها.

ـ دعني. اتركني اذهب.

حاولت الافلات من قبضته بدون جدوى

ـ اجيبيني والاّ هززتك هزاً عنيفاً حتى تصطك اسنانك. عليّ أن أعيش مثقل الضمير بموته، اليس كذلك؟ هزّها من جديد، اجيبي! ألم يطلب منك والدك أن تتزوجي رودي كي يتابع تناول حبوب ادويته...

ـ لا، لا، لم يقل ذلك. اذا أردت أن تعرف... فقد قال عليك انت ان تتزوجني...

تلاشى الضغط ببطء من فوق ذراعها ثم افلتها. وقفا يحدّقان ببعضهما في صمت رهيب، ثم ضحك رالف ضحكة مجلجة سمع صداها في خراب الدير كله.

ـ أنا! أتزوج قطّة وحشية مثلك؟ هذا أغرب ما سمعته منذ مدّة طويلة، لا، شكراً. أنا أحب امرأتي أن تموءلا أن تزمجر، لن أتزوجك حتى ولو لم تبق على وجه الارض امرأة غيرك.

ـ شيء غريب، وهل طلبت منك أن تتزوجني؟

احمرّ وجه ساره. لماذا كشفت له كل أوراقها، ها هي الآن تتلقى اهاناته الكريهة، انها تكرهه كرهاً شديداً. حاولت من جديد أن تثير مسألة ضميره:

ـ انت مسؤول عن موت والدي، الخيار الذي كنت تفتش عنه لا يقدّم ولا يؤخر، انه يدخلك في صلب الموضوع ويضاعف من جريمتك. لو كان عندك ضمير فأنا اتمنى من كل قلبي أن يتعبك لنهاية عمرك.

قالت تنهي ما عندها من كلام وهي واثقة بأن لا فائدة من كلامها. ولكن لدهشتها، غابت السخرية عن وجهه وحلّ محلّها العبوس الثقيل، كأنه بدأ يحس بجريمته، تأكدت ساره من وجود ضميره الحي وسرّت لذلك سروراً عظيماً، لقد انتصرت. بان في عينيها الانتصار ولاحظ رالف ذلك فزاد عبوسه، كان يسره لو يمعن في ضربها لكنه تكلم اخيراً بصوت منخفض ليس فيه قساوة.

ـ هي الحقيقة اذن، والدك يريد أن أتزوجك. لماذا أنا بحق السماء؟

ـ لانني أمضيت ليلة معك. والدي عجوز وتفكيره رجعي في هذه الامور.

سألها ساخراً متهكماً:

ـ لماذا؟ هل نساء آل مالفرن طاهرات عفيفات؟

قالت تردّ له تحيته بأحسن منها:

ـ أنت لا تصدق ذلك ولكنها الحقيقة... تستطيع أن تقول الشيء نفسه عن نساء آل لينغارد.

فرح رالف بتصريحها، وكان لا يزال يفكر بجدية:

ـ لنعلن هدنة مؤقتة بيننا. والدك لا يمانع في سفرك للسكن في اليونان.

ـ بما أن امكانية سكني في اليونان ليست واردة... لماذا نضيّع

وقتنا في بحث هذا الأمر.

- لم تجيبي على سؤالي؟ والدك يريدك أن تتزوجيني، وهو يعرف ماذا يعني ذلك. هل بتركك ترحلين عن حياته . . . وربما لا تعودين الى هذا البلد من جديد.

هزّت رأسها ايجاباً وهي تتذكّر والدها وهو يدير وجهه الى وسادته حتى لا يراها. تملّكها شعور رقيق جعلها تبدو أكثر أنوثة من أي وقت مضى. تملّكها خجل الانثى وهي تصرخ بأنها ستعيش مع زوجها اينما وجد. رأى رالف ساره بحلتها الجديدة، اتسعت عيناه وهو يراها على هذا الحال الجذاب خامره شعور لذيذ كأنه يرى أعجوبة تحدث في خراب الدير. قال لدهشتها ودهشته:

- زواجنا يصلح كل الامور، وسيعيش والدك.

- زواجنا؟ هل جننت؟

قال بلطف مقنع:

- أنا واثق من كراهيتك الشديدة لي، ولكنني لا اريد ان احمّل ضميري وزر موت ابيك. أنا أعرض عليك الزواج بي ياساره، اذا قبلت يعيش والدك، واذا رفضت يموت. حياته بين يديك الان وليس بين يديّ.

تعجبت ساره، أين ذهبت قساوته وسخريته، لقد اصبح شخصاً آخر مغايراً للشخص الذي خطفها ورماها على المقعد الخلفي في السيارة وهدّد باغراقها في البحر . . كان ينتظر جوابها.

نظرت ساره الى الامواج المتلاطمة الصاخبة وهي تضرب الصخور قرب الشاطىء، البحر هائج اليوم وكذلك ضربات قلبها تتجاوب مع البحر. كانت قادرة على أن تصارع الامواج لو اقتضى الامر . . ولكن لا يمكنها أن تصارع غريزة حب البقاء لوالدها، حياته أصبحت بين يديها هي، لم تضع في حسابها امكانية أن يعرض عليها رالف الزواج. لقد دارت الدائرة عليها مرة جديدة وأصبح الحل بين يديها، اذا مات والدها ستحمل هي المسؤولية وليس هو.

دارت لتواجهه واذا الريح تلف ثوبها وترفعه فوق رأسها. بدأت تصارع الريح في محاولة لانزال فستانها وهو ينظر اليها مسروراً. أحست بالدفء واحمرّ وجهها خجلاً حين استطاعت اخيراً ان تعيده الى سابق عهده.

- كنت أريد ان اساعدك ولكنني خفت أن تفسري تصرفي بأنه غير شريف.

ضحك وأمسك بذراعها وقادها الى مكان أقل عرضة للهواء. ثم أضاف:

- حسناً. هل توّصلت الى قرار يا ساره؟ هل ستحمّلين ضميرك موت والدك لنهاية العمر؟

قالت بلهجة مرتبكة:

- يبدو أنك تريد أن تتزوجني.

- كما قلت. لن أحمل مسؤولية ما سيحصل لوالدك، أنا صادق وأعترف أنني لو تزوجتك فأنا اخالف ارادتي وعقلي لأنني لا أعرف ماذا سأفعل بزوجة لست معجباً بها . . . هل ترضين بأن تدخلي معي مؤسسة الزواج وفق هذه الشروط؟ هل تروقك هذه الحياة؟

- انا لم اوافق على الزواج منك.

كان صوتها همساً. تبدو صفراء شاحبة وقد اختفى اللون من شفتيها. ولكنه اقنعها حين قال:

- ولكنك ستقبلين بي لأنك تحبين والدك حباً جماً.

- سنتقاتل كل الوقت.

وافقها على الفور. ذكرته بأنه قال، لن يتزوج بها لو كانت آخر امرأة على وجه الارض.

فقال يدافع عن نفسه:

- لم أكن أعرف الحقائق كلها، كما انني أكره الزواج بامرأة من طرازك ولكن ذلك افضل من أن اقتل شخصاً بريئاً لم يؤذني.

- من المؤسف أنك لم تخطط بتأن. ولكنك أردت أن تحطم

والدي.

- احطمه كما تحطمت والدتي، ولكنني لا أريد ان اقتله. لم يخطر ببالي أنه سينتحر. قال وهز كتفيه بدون اكتراث واعاد سؤاله اذا ما وصلت لقرار. كررت قولها:

- منذ قليل قلت انك لا تستطيع الزواج من قطعة متوحشة.

قال ببرود:

- أنا أعني ما أقول، ولا أظنني سأهتم بترويضك. ربما أجرّب في وقت من الاوقات اذا شعرت بالملل، هل ستتزوجينني يا ساره؟

اجابته بعد أن شبكت يديها ببعضهما:

- سأكره كل دقيقة من حياتي معك.

- اوه لا أعرف. ستتقاتل ولكن اذا تصرّفت جيداً وبتعقل ربما أتركك تعيشين على هواك، وأنا أعيش كما يحلو لي. هل تعجبك هذه الحياة؟

- تماماً، في هذه الظروف لن يكون بيننا أي علاقة اخرى.

قال على الفور:

- أوافق.

بدأت الشمس تغيب. الآثار مليئة بالظلال. كان رالف خبيثاً وشريراً. حاولت ان تتخيل منزله وحياته... تذكرت شيئاً آخر قاله: انه يحب امرأته تموء كالقطة الاليفة. هل لديه نساء في حياته؟ مؤكد. هذا يساعده على الزواج من امرأة لا يكن لها أي حب وهذا يناسبها. ألم تصرّح دائماً بأنها لن تعيش لترضي الرجل. لن تنتظره مطيعة رهن اشارته.

- أظن أننا مخطوبان الآن، عليّ أن أقابل والدك، لنذهب على الفور لأنّ المطر سيهطل عمّا قريب.

حفلة الزواج كانت عائلية، قرّر رالف العودة الى اليونان قبل نهاية الاسبوع. لا ثوب زفاف أبيض... لا مصورين... ولا حفلة استقبال تلت مراسم الزفاف.

شعر رالف بما خسرت ساره من جراء سرعته في اتمام مراسم الزفاف. ليلة السفر كانت ايضاً ليلة الزفاف. أخذها رالف الى مطعم فخم يدعى مطعم الزرع وهو بيت أثري جميل لا يؤمّه إلاّ الاغنياء. طرازه اسباني وعلى جدرانه صور مصارعي الثيران في براويز كبيرة مطلية بالذهب. الانارة خافتة والنباتات المعرشة تتدلى هنا وهناك. في طرف المطعم مرقص صغير أرضه مفروشة بالزجاج الصغير وغير متوازي الشكل والانوار الخضراء تطل من وسط حجارة صخرية ونباتات بحرية تحيط بجوانب المرقص. يشبه المرقص بركة ماء مزخرفة. رؤية الخدم من الشبان الاسبان تبعث السرور في النفس.

وضعت ساره معطفها ودخلت لتجد رالف في انتظارها. استقبلها بترحاب ولطف خالجها شعور لذيذ بأنه يختلف اليوم تماماً عمّا تعرفه. بدا في لباس السهرة مفرط الترتيب، لكنّ شيئاً في نظراته يشبه الخارجين عن القانون. حمل شرابهما الى طاولة جانبية قادهما اليها أحد الخدم. جلسا هادئين وكل منهما غارق في تفكيره. طلبا الطعام. النور خافت ينساب اليهما من فوق. كانا كأنهما يجلسان في الظلام وتصل اليهما انغام الموسيقى الحالمة من اقصى المطعم حيث يتمايل زوجان شابان على انغامها في المرقص. كانا متماسكين يشدان بعضهما كأنهما متلاصقان وهما يتهامسان برقة. كانت ساره تراقبهما، فقال لها رالف:

- كلي ياصغيرتي لم تتذوقي طعامك بعد.

منحته ابتسامة شاحبة. لم تكن تشعر بالجوع ولكنه اظهر رقة متناهية واهتماماً شديداً بها، مما جعلها تحاول أن تتذوق طعامها لتوهمه أنها تتمتع بمشاركته الطعام.

كانت افكارها موزعة بين والديها وراحة بالهما نتيجة لزواجها من رالف، وبين رودي وخطوبتهما القصيرة التي لم تدم... وهذا الرجل... زوجها... هل ستتركه حين يموت والدها؟ أم تتابع

حياتها كرفيقة . . . وليس كزوجة. كل منهما يعيش حياته على هو
وماذا لو قابلت رجلاً آخر وأحبته؟

لا لن تحب أحداً. الحب للمرأة هو سجن وخضوع وهو ليس لها
أما اذا أحبّ رالف امرأة اخرى ورغب في الانفصال؟ ستنتهي عند
كل مشاكلها. . . سألها رالف:

- بماذا تفكرين؟ هيّا. سأجعلك تخبرينني.

يجعلها! عبست ساره من تعبيره الأمر. كانت تأمل أن لا يمار
لهجة الأمر والسيادة معها حتى لا تحدث مشاكل بينهما منذ البداية
تجاهلت قوله هذا ورغبت في التحدّث معه لتستطلع رأيه في هـ
الموضوع. قالت:

- كنت أتساءل ما اذا كان سيأتي اليوم الذي ترغب فيه بحرية
من هذا الزواج، وربما تقع في الحب؟

- صحيح وربما أحب. عندئذ سيكون زواجي عقبة في طري
قلبي، ولكنني رجعي وتقليدي في هذا الامر وسابقي عليه. زواجنا
ساره أبدي. علينا أن نمارس الحذر الشديد حتى لا نقع في أي حب
يمكننا أن نتمتع بالحياة بدون حب.

خجلت ساره كثيراً من تصريحه. هل نسي ما قالته عن عفة نس
مالفرن التقليدية. سألته بفضول:

- هل لديك نساء في حياتك؟

- نساء بالجملة؟ في بعض الاحيان نعم، أنا أؤمن أنّ الحياة يجب
أن تعاش. ولكنني لا أتنقل من امرأة الى اخرى. . . هل أظهر لك
بهذا المظهر؟

حضر الخادم ومعه الطبق الثاني من الطعام. صمتا قليلا ثم سأل
مستفسرة:

- هل هناك امرأة خاصة؟

اجابها ببرود:

- حالياً. نعم لدي امرأة خاصة.

كانت ساره تلعب بشوكتها في صحنها. حثّها رالف على الأكل من جديد.

سألته بخجل:

- هل هي جميلة؟

- أعتقد ذلك.

- هل هي شقراء ام سمراء؟

- هي سمراء بقدر ما انت شقراء.

- ألا ترغب في الزواج منها؟

- من الواضح أنني لن أتزوجها. . . والاّ لكنت تزوجتها من قبل.

- كم يبلغ عمرها؟

- هي في الثامنة والعشرين تقريباً. لقد أتمت عيد ميلادها الثامن والعشرين منذ اسابيع. هي أطول منك بقليل وأكثر امتلاء. عيناها سوداوان كلون شعرها. انفها مروس. هل لديك مزيد من الاسئلة عنها؟

امتلأ وجه ساره احمراراً من سخريته. بقيت ذقنها مرفوعة وكذلك رأسها، وفي عينيها شرارة من نار. قالت:

- آسفة. كنت أحاول أن أبدي بعض الاهتمام اللائق، ولا ارغب في التدخل في شؤون امرأتك.

- كم أنت ذكية يا صغيرتي، عليك أن تتعلمي منذ البداية أنني لا أحتمل أيّ تدخل في شؤوني الخاصة. اذا تدخلت ستندمين أشدّ الندم.

ساد الصمت من جديد. شعرت ساره برغبة قوية في أن تمسك أي شيء على الطاولة وتضربه به لو استمر مهدداً ومترعداً في حديثه معها. بعد دقيقة أو أقل عاد الى لطفه ورقته السابقة وسألها أن ترافقه في لهجة حنونة، كأنه يعتذر عن صدامهما في علاقتهما ليلة الزفاف.

تذكّرت نفورها منه حين حشرها في غرفة التلفون الصغيرة. ارادت أن تعتذر له، ولكنها غيرت رأيها بعد ما أصبح واقفاً أمامها.

فرحت ساره عندما توقّفت الموسيقى وعادا الى طاولتهما. كانت لمسة يديه فوق ذراعها وكتفها مقرفة لا طعم لها. ووجدت صعوبة في الابتعاد عنه في المرقص. لاحظت صمته بعد عودتهما. تساءلت في نفسها: هل شعر بكرهها له حين لامسها، وهل أحسّ بارتياحها حين انتهت الرقصة، من الواضح أنّه احس بكل ما تشعر به لأنه لم يراقصها مرة ثانية واكتفى بالحديث الخفيف والثرثرة. كانت تسأله وهو يجيبها عن بيته وعمله وحياته.

عمله متقطع في فترات موسمية. انه رجل ثري وباستطاعته أن يوكل الى موظفين عنده القيام بالاعمال عنه، لديه مكتب في أثينا ويمضي اياماً عديدة هناك في زمن المواسم حيث يبقى في ضيافة اصدقاء يملكون شاليه لا تبعد كثيراً عن الشاطىء في كليفادا.

شرح لها بالتفصيل عن بيته. كانت تستمع اليه باهتمام وتتساءل: هل هناك زوجان صرفا ليلة زفافهما مثلهما، يتحدثان بادب وتهذيب لتمضية الوقت حتى يحين موعد اقلاع الطائرة في الثانية عشرة والنصف. ستكون الرحلة بالطائرة مماثلة لجلستهما هنا. يمضيان الوقت في الحديث الممل. غمرها قلق شديد وشعرت بالبرد ينخر عظامها وهي تتذكّر ما قاله رالف: زواجنا أبدي.

زواج يرتكز على الكراهية أي مستقبل ينتظره... هذه هي البداية! لم تكن ساره تدخل الحب في حسابها كعنصر أساسي للزواج، ولكنها كانت دائماً تعول النفس على رجل يحبها. وإلاّ كيف ستسيطر عليه وتقوده حسب رغبتها؟

حان الوقت للتوجه الى المطار. غادرا المطعم الى حياة مظلمة، لا نجوم فيها ولا قمر. ساره تجيد الصراع فهي من آل مالفرن. لن يفسد حياتها رجل من آل لينغارد. قال رالف انها تستطيع أن تحيا حياتها على هواها... وهكذا ستفعل.

واذا بدّل رأيه بهذا الشأن وبدأ يتدخل في حياتها.. فالويل له!

٤- لا تكوني غبية

يقع منزل رالف في واد مليء باشجار الصنوبر ويشرف على نهر كلادوس في هذا الوادي كانت تقام الالعاب الاولمبية منذ ألف سنة. الضاحية هادئة ومليئة بأشجار توفر الخشب من جبل كرونيو ومحاذية لمنطقة ألتيس المزروعة بأشجار الزيتون. نظرة الى ساحة الملعب ترى الأعمدة الرخامية منتشرة هنا وهناك تذكّر بأيام العز. هنا كانت تقام الألعاب الرياضية المختلفة ويحضر الشباب من كل أقسام الدولة الهيلينية ليتنافسوا منافسة شريفة على البطولة الرياضية. وتعتبر الفترة الزمنية التي تقام بها الألعاب الاولمبية هدنة بين المدن اليونانية تتوقف خلالها جميع نزاعاتهم الداخلية والخارجية.

وصلت ساره الى منزلها الجديد مع الفجر. كان قرص الشمس الذهبي قد بدأ يتصاعد في كبد السماء من خلف جبال اركاديان وترسل أشعتها الى أشجار الزيتون وحقول القطن وعرائش العنب في الوادي. الأرض مكسوة بسجادة زرقاء من السوسن وشقائق النعمان قد بدأت تذبل في أول فصل الصيف، وعلى ضفتي نهر ألفوس بدأت الدفلى تزهر. المنزل يقع في المثلث المكون من ملتقى النهرين، وجبال الصنوبر الضخمة كأنها برج شاهق يشرف على بقايا ملاعب الاولمبياد. هناك هيكل قديم لزيوس كبير الرموز عند اليونان القدماء. صرخت ساره صرخة اعجاب، ونظرت نظرة امتنان الى الرجل الذي حملها معه الى هذه الجنة الارضية وقالت:

- انتظرت أن يكون المكان اكثر وحشية، انه آية في الجمال.
- قلت لك أنّ البلاد رقيقة ويختلف المكان عن النسر المكشر

المتوحش في دلفي. هذا المكان آمن. كانت اولمبيا مكاناً محرماً على المقاتلين، هنا ينبذون أحقادهم وصراعاتهم ويمارسون مختلف أنواع الرياضة البدنية في منافسة شريفة.

كان رالف يرمي الى المعنى المبطن في حديثه. فهمت ساره قصده وقالت:

ـ ولكننا لم نحضر الى هنا في سلام ووئام. الخصومة بيننا أبدية ولا تعرف الهدنة.

بالرغم من تصريحها إلاّ أنها شعرت بالأمان والسلام. البيئة الهادئة تطغى عليها روح المصالحة. لقد عرف اليونانيون القدماء أين يختارون مكاناً لألعابهم، فالمكان محمي من الرياح الباردة والحارة ونسائم البحر الناعمة الرطبة تغطي وادي القوس لجهة الغرب.

هزّ رالف كتفيه بدون اكتراث وهو يساعد سائق التاكسي في نقل الحقائب. لحقت ساره بهما ومشت تحت قنطرة حجرية تفضي الى حديقة جميلة جداً. هناك عريشة كبيرة تحمي من اشعة الشمس المحرقة، مزروعات فنية منوعة تحيط بها حجارة بشكل فني ونوافير المياه ترسل رذاذ الماء الى الزهور اليانعة في كل مكان من الحديقة.

المنزل مربع مطلي بالدهان الابيض وبه غرف واسعة في الطابق العلوي تدخلها الشمس، وقد فرشت بأحدث الأثاث وأثمنه. مرتا بستوس مدبرة المنزل أخذت ساره لتريها غرفتها. مرتا وزوجها جورج يعملان عند رالف في تدبير شؤون المنزل والحديقة، نظرا الى ساره بدهشة واستغراب عندما عرّفها رالف بها، نظراتها المعبرة تملأ كتاباً. كانا ولا شك يتساءلان عما ستقوله المرأة الاخرى عنها. وتاقت ساره لتتعرّف الى المرأة الاخرى صديقة زوجها الحميمة. غرفتها تشرف على الحديقة وعلى ملاعب الاولمبيا وجبل كرنيون الذي تكسوه اشجار الصنوبر.

ـ منظر ساحر. قالت ساره مخاطبة مرتا: هل هناك حمام؟

ـ نعم يا سيدة ستفاردي. هذا هو الحمام.

أشارت مرتا الى غرفة ملاصقة. عبست ساره وهي تسمع اسمها الجديد لأول مرة، كانت تكره هذه التسمية ولكنها ستعتادها مع الأيام، واقسمت بأنها لو أتيحت لها فرصة للانتقام من زوجها فلن تتردد. وكانت واثقة ان هذه الفرصة لن تتاح لها أبداً.. انّ رالف رجل قاس ولا شيء يؤلمه أو يجرحه، هل كان سيشعر بأن عبئاً ثقيلاً قد أزيح عن كاهله لو رفضت الزواج منه؟ وهل سيشعر بوخز ضميره؟ لا. لن يشعر بأية مسؤولية عن حالة والدها الصحية بعدما حمّلها المسؤولية بمكر وحنكة. قال لها انه في حال وفاة والدها فهي الملومة وليس هو.

اخبرتها مرتا ان الطعام سيكون جاهزاً خلال نصف ساعة، لقد أمر رالف جورج بتحضير الوجبة وستذهب مرتا لمساعدته. طلبت مرتا منها ان تهيء نفسها للعشاء.

بقيت ساره وحدها في غرفتها تتعرّف اليها. في الغرفة سرير مزدوج وأثاث مريح ومرآة واحدة فوق طاولة الزينة وهناك فرشاة للشعر في صينية فوق طاولة الزينة، فتحت درجاً في الطاولة ولمحت ثياباً رجالية داخلية. اجفلت واغلقت الدرج بسرعة.

ـ ماذا تفعلين هنا؟

كان رالف يقف في الغرفة وينظر الى حقيبة ساره التي حملتها بنفسها.

ـ آسف. طلبت من مرتا اخذك الى غرفتك ولم أحدّد لها المكان، كان من الطبيعي أن تحضرك الى هنا، فأرجو ان لا أسبّب لك المزيد من الازعاج.

كانت لهجته ساخرة، رمقته ساره بنظرة حادة لم يأبه لها. قالت وهي تحمل حقيبتها بيدها:

ـ ربما تتكرّم وتريني غرفتي

كانت غرفتها تشرف على المناظر نفسها التي تشرف غرفته عليها، وكذلك حمامها يشبه حمامه، ولكن السرير في غرفتها كان سريراً

منفرداً، ابتسمت ساره وهي تتساءل: ماذا ستفكّر مرتا في هذا الوضع الغريب؟ قال رالف:

- اعتقد انك متعبة، يمكنك الاستراحة بعد الطعام اذا رغبت.

ثم نزل الى غرفة الجلوس ولحقت به ساره. جلس رالف يتصفح مجلة ويرفع رأسه من وقت لآخر ليرمقها بنظرة ثم يعود الى مجلته. كانت ساره تنظر اليه وتتساءل: متى سيزور فتاته؟ لقد غاب عنها خمسة أسابيع. هل ستتقبل نبأ زواجه بهدوء؟ جلس رالف هادئاً وقد أخفى غضبه وخيبة أمله وندمه عن كل عين. كان مشغولاً بالقراءة ولا يعيرها أدنى اهتمام، وبدأ غضبها يتفاقم. لم يسبق أن تجاهل وجودها اي رجل من قبل... دائماً كانت موضع اهتمام الجنس الآخر، فقررت ساره ان تجعله ينظر اليها ويترك مجلته. سألته:

- هل ستتأخر الوجبة؟

- وكيف لي أن اعرف؟ اسألي مرتا.

اجابها رالف بدون ان ينظر اليها، وأكمل قراءته. امتعضت ساره من معاملة رالف لها، صرخت:

- انت تجهل مبادىء حسن الضيافة؟

- اعتقدت أننا متفاهمان؟ تعيشين هنا وتفعلين ما يحلو لك. بحق السماء، لا تنتظري مني أن اسلّيك. لديّ اشياء اكثر فائدة افعلها.

- لقد اعتدت اهاناتك لي. قبل وقت طويل ستندم على هذه المعاملة السيئة لي، انظر الى أين أوصلتنا خططك الفذة؟

- أنا اتمتع بروح رياضية أعترف بخسارتي.

فهمت ساره اهانته الجديدة وازداد احمرار وجهها من الخجل:

- تبدو آسفاً على زواجك منذ الآن...

- بالطبع أنا آسف لأنني أجبرت على هذا الزواج، ولكن لو قدّر لي مرّة ثانية أن أعيش الماضي لأعدت الكرة من جديد، أنا لا اندم أبداً على ما أفعل، قلت لك لا اريد ان احمّل ضميري الشعور بالذنب لآخر حياتي.

- لماذا حاولت الانتقام مني؟

- الانتقام من تقاليد آل لينغارد الموروثة.

- وماذا ربحت؟

- ربحت زوجة، ضحك، وأية زوجة!

- كفى.. أعرف أنني لا أروقك. وأنت كذلك لا تروقني، ولكنّني لا اكرر ذلك على مسمعك، وأكون شاكرة لو تلجم لسانك أيضاً عن تكرار ذلك.

- لماذا يا سارة أنت مستاءة؟ النساء مغرورات ويؤلمهن قول الحقيقة، هل يؤلمك أن أقول انك لست جذابة؟

- انا لست جذابة بالنسبة اليك لقد خطبت مرتين، اليس ذلك دليلاً واضحاً على جاذبيتي؟

طوى مجلته ونظر اليها بفضول وسألها:

- وهل رودي رجل؟ اي حياة كنت تتوقعين ان تعيشي معه؟

- حياة سعيدة. أنا اريد رجلاً استطيع قيادته.

قال مستغرباً:

- ولماذا خطبت لأخي؟ لن تستطيعي قيادته بسهولة!

- ولهذا تخلّيت عنه وفسخت الخطوبة.

- لهذا السبب حطمت قلبه؟

كل آل لينغارد أشرار. لن تفيد ساره من ذكرياتها السابقة مع اليكس. وشعرت ان زوجها يلذّ له الحديث عن تصرفات شقيقه. كان اليكس يجدها جذابة لا تقاوم، وحاول اغتصابها قبل موعد الزواج. كم يسرها أنّ رالف لا يجدها جذابة والاّ لتصرّف معها كشقيقه ولن تستطيع ردعه لاسيما وهو يملك حق امتلاكها الشرعي. قالت له:

- اذا لم يكن الزوج مستسلماً لزوجته فستكون المرأة خاضعة لزوجها.

أجابها رالف:

ـ اليس هناك اي حل وسط، شراكة مثلاً.
ـ اذا سمح للرجل ان يكون الاقوى خسرت المرأة أملها واصبحت خاضعة لسلطة زوجها. هل تتصوّر أنني أتحمّل ذلك؟
ـ لا. لن تتحمّلي هذه الحياة. ولكن هل تعتقدين أنك ستكونين سعيدة اذا تزوجت برجل تديرينه حسب مشيئتك كأنه خاتم في بنصرك؟
ـ نعم أكون سعيدة وراضية.
ـ ولماذا لم تتزوجي رودي؟ كنت تستطيعين قيادته بسهولة وتتمتعين بلقب رفيع؟ لماذا تركت هذه الفرصة تفوتك؟ انها فرصتك الذهبية للحصول على السعادة.
لم تجبه. تذكّرت رودي وهو يتفحّصها مشدوهاً يوم الحادث المشؤوم. . . كانت في ملابس النوم، احمرّ وجهها وهي تتذكر. . . قالت عابسة:
ـ لا أعرف لماذا غيّرت رأيي!
ـ خيّبت أملي فيك يا ساره. كنت أظنّك صريحة وصادقة، سأقول أنا السبب، لأنّ رودي لم يثر ويغضب حين رآك معي في السفينة. كان ضعيف الشخصية ولا عامود فقري لديه. فتاة حرّة مثلك لن ترضى برجل خنوع مثله.
ـ هل تريد ان تقول انني أريد رجلاً قوياً؟
ـ أنا لا أقول ماذا تريدين بل ماذا تحتاجين.
سألته بنزق:
ـ أوه. ماذا احتاج؟
ـ تحتاجين لرجل يسحق قليلاً من كبريائك ويروّضك.
تذكرت ساره قول رالف: «سأروضك حين أشعر بالملل. . .». لو قرر رالف ترويضها سيكتشف أنّ هذا العمل أشقّ ممّا يستطيع ان يتحمّل.
مرّ الوقت [illegible] بدأ[illegible] تشعر بالملل، مع [illegible]

(بوليو) وبدأت تتساءل اذا كان باستطاعتها ان تكمل مشوار حياتها معه. حياتها السابقة كانت دعوات وحفلات تنصبّ عليها من كل صوب وحدب. كان رودي قربها دائماً ومستعداً لتلبية جميع رغباتها. لو ارادت الذهاب الى المسرح كان خطيبها يحجز لها افضل المقاعد حتى لو لم يرغب هو في رؤ ية العرض. اذا رغبت في حفلة راقصة كان رودي يقوم بجميع الترتيبات للحفلة بدون أي اعتراض.
والآن، زفرت زفرة مشحونة بالغضب، اين رالف؟ كان غائباً منذ اسبوع. ربما كان في اثينا. أو ربما في قرية لنغاديا حيث تسكن صديقته أديل بودان. كانت ساره تتشمس في الحديقة تحاول تقييم حياتها في اليونان.
هيأت ساره نفسها لكره أديل في أول اجتماع لهما، حتى قبل أن تلقاها. كانت صدمة لساره يوم قابلتها. أديل تفيض بالأنوثة شعرها أسود وكذلك عيناها لديها جاذبية محببة وتصرفاتها لائقة مهذبة تروق للرجل. انها تموء. . . قالت ساره في نفسها. قطة أليفة جداً، كما يرغب رالف في نسائه. أرادت ساره ان تكرهها ولكنها لم تستطع. . . فشعرت بخيبة أمل.
تعجبت من شعورها الغريب ولم تعرف له تفسيراً. تركت هذه المسألة بدون ان تتوصّل الى حل لها، وتركت الأيام المقبلة تكشف لها هذا السرّ الغامض في شعورها نحو أديل.
حضرت أديل برفقة رالف، حين عاد من اثينا، وعرّفها الى زوجته. كانت أديل باردة العواطف، ولكنها لم تكن عدائية. الظاهر انها تتفهّم وضع حبيبها وزواجه. لا بد وان رالف قد اخبرها القصة بحذافيرها وأكد لأديل ان مركزها لن يتزعزع بدخول زوجته الى المنزل. زوجة لا تزال للآن غريبة عنه ولم يعاشرها، ومن الغريب جداً أنّ ساره لم تشعر بأي كراهية نحو أديل. موقف أديل كان الاقوى لأنّ رالف كان يعمل لها ألف حساب، ويتكلم معها بحنان وذراعه تحيط بكتفيها وتعابيره راضية سعيدة وهو ينظر اليها. لم تكن

ساره تصدق ما ترى. سألتها ساره بعد أن غادر رالف الغرفة الى الكاراج ليعاين مع جورج تصليح سيارته:

- هل ستتعشين معنا؟

- لا اعتقد ذلك سأذهب برفقة رالف للسهرة.

كانت أديل تتكلّم بلهجة المتفوقة بينهما. أخذ رالف أديل مساء وحين عاد طلبت اليه ساره ان لا يحضرها مرة ثانية الى البيت. حاولت ان تتكلم بهدوء واقناع وحدق رالف بها ساخطاً وأخبرها بأن أديل قد اعتادت الحضور لهذا البيت، ولن يتغير هذا الواقع ابداً. قال رالف يذكرها:

- لا يربطنا أي رابط، حتى الاحترام مفقود بيننا، وتزوجتك لانقذ حياة والدك فقط ولم أتعهّد بتقديم اي شيء لك.

- أنا اعرف ذلك، ولكن وجود مرتا وجورج بيننا. . . ربما هما يسخران الآن مني.

- دعيهما يضحكان، انت لا يهمك رأيهما فأنت مغرورة بنفسك ومتكبرة. أخبرتك عن حياتك معي وطلبت منك أن لا تتدخّلي في شؤوني الخاصة.

- ألا يمكنك، على الأقل، ابعادها عن المنزل فقط!

قال آمراً:

- انا لا أنوي ذلك. افهمي، انت لا تعنين لي أي شيء على عكس أديل، وأرجو أن لا تتدخلي بعد اليوم في أموري!

نظرت اليه بوجه شاحب وتعابير تكابد الاسى وسألته:

- ماذا لو جلبت أنا أيضاً رفاقي الرجال الى البيت؟

- وهل لديك رفاق رجال؟ لماذا انتظرت كل هذه الأسابيع؟ احضريهم الى البيت ولكن واحداً واحداً. اذكّرك بأنني أرغب ان تتستري في علاقاتك، انني حساس وأتمتع باللياقة في معاملة أصحابك. اجلبي واحداً منهم هذا المساء وأنا أجلب أديل ونصبح أربعة.

مسحت ساره خدها بيدها بوحشية لتمحو لمسته. تذكرت قوله: سنصبح أربعة. كانت ستختنق من شدّة غيظها. وهو يعرف معرفة جيدة ان لا اصدقاء لديها وحتى لو كان لديها صديق فرالف لا يهتم لهذا الأمر. الامر يختلف معها حين كانت تخرج مع اليكس او رودي. . . كانا دائماً موضع حسد من بقية الرجال فهي جميلة ولكن جمالها مع رالف لا ينفعها لأن جمالها لا يجذبه ولا يوجد رجال ينافسونه عليها، زوجها لا يهتم بها ابداً ولا مانع لديه في ان تحضر للمنزل رفاقها. كم هو متعجرف ومتكبر. لن تحتمل لسانه المقرفة، ومع ذلك بقيت تشعر بحنان لمسته فوق خدها لفترة طويلة. . . وتشعر أيضاً انّ علاقته بأديل تختلف عما يزعم. كان يؤمن بأن الحياة يجب ان تعاش مما يوحي لها بأنهما عاشقان. ولكن ذلك غير صحيح، أديل تشبه الملائكة في تصرفاتها الرزينة. لا يمكنهما قطعاً ان يكونا عاشقين؟ ضاق صدرها لكثرة ما فكرت. هزّت كتفيها بدون اكتراث، لماذا تهتم بعلاقة زوجها مع أديل! كانت تتمنى ان يقيم علاقاته الحميمة خارج المنزل بعيداً عن نظرها. وقفت سيارة في المدخل ودخل رالف من تحت القنطرة الى الحديقة ووقف ينظر اليها بشغف. كان يحمل حقيبة أعماله مما يوحي بانه أمضى الأسبوع الفائت في اثينا.

- ستحرقين جلدك بالشمس، لا يمكنك ان تمضي النهار كله تتشمسين.

- ماذا افعل؟ غطت نفسها بمنشفتها وقالت معاتبة: لو كنت اصطحبتني معك لاثينا؟

- أنا لم اكن في اثينا. وحتى لو كنت هناك لماذا اصطحبك معي؟

قالت بخجل:

- لم أقصد أن تصطحبني كما فهمت.

سألها بنزق:

- وكيف اذن؟ ماذا كنت تقصدين؟

- كرفيقة. . . أرافقك الى اثينا وتتركني أسرح في الاسواق وأتسلّ

ثم نعود سوية عندما تفرغ من عملك الى البيت.

ـ ولكنني لم أكن في اثينا. ومسألة اصطحابك معي غير واردة.

ـ ظننتك باثينا، لانك تأخرت اسبوعاً كاملاً.

ـ وهل تسألينني أين كنت؟

ـ بالطبع لا. هذا الأمر لا يهمني؟

ـ حقاً. لا شيء أفعله يجب ان يهمك، دائماً تذكري ذلك، فنكمل مشوار حياتنا على أحسن ما يرام، لن أخرج بعد الظهر ولا مساء من البيت.

سرّت ساره من كلامه معها واستعادت كبرياءها المهدورة. قالت ساخرة:

ـ وماذا أفعل؟ هل تمنحني امتيازاً، عليّ ان اشكر تواضعك لبقائك برفقتي.

نظر رالف اليها نظرة قاسية وقد امسك بحقيبة أعماله بعصبية. وحين تكلم من جديد كان قد استعاد هدوءه. قال يرد على سخريتها بأشد منها:

ـ انا لا أفرض عليك رفقتي، بالحقيقة لا شيء أكثر مللاً من تمضية أمسية برفقتك.

قالت بتحد:

ـ لماذا تخالف عاداتك؟ لماذا لا تسهر معها؟

ـ ماذا يا ساره؟ ماذا تقولين عن أديل؟ انني أكن لها الود الكبير.

رفعت رأسها عالياً وذكرته انه هو الذي اعترف بأنه وأديل اكثر من صديقين حميمين.

ـ صحيح أنا اعترفت بتلك الحقيقة ولكن هذا لا يعطيك الحق في انتقادها أمامي. انها امرأة افضل مما يمكن ان تكوني.

ـ لماذا لا تذهب اليها؟ ستكون امسيتك أكثر متعة من بقائك معي.

ـ بدون شك، ولكن يناسبني ان ابقى اليوم في البيت.

ـ الحمد لله البيت كبير ويمكنني ان اتحاشى رفقتك.

قامت من مجلسها في الحديقة وامسكت بالكتاب قربها. واكملت:

ـ سأختفي في غرفة اخرى.

ـ هذا يناسبني.

قال ذلك وتبعها الى داخل المنزل. حين وصلت الى غرفتها كانت ساره تمشي في الغرفة، وهي تغلي من الغيظ وتحاول ان تتجاهل اهاناته لها. هذا الشعور يحيرها! لماذا تهتم لرأيه بها؟ لماذا يقارنها بأديل دائماً؟ هذا العمل من سوء تصرفه وقلة تهذيبه، أليس ذلك صفة مميزة لآل لينغارد.

لو تعرف كيف تسدّد له ضرباته القاسية بمثلها؟ لو تستطيع ان تثير غيرته كما يثير غيرتها. كانت تحاول جهدها ان تجد لنفسها صديقاً ما، ولكن ذلك لن يجد نفعاً معه. لن تستطيع ان تجعله يغار لأنه لا يحبها، وهو لا يطالبها بأي شيء، ولا يسألها كيف تقضي وقتها ولا يتدخل في تحركاتها أو أعمالها ولا يجبرها على تنفيذ طلباته، هي حرة تماماً. وقفت ساره في غرفتها أمام المرآة، انعكس غضبها على وجهها وقد غاب لونه. لقد اقسمت ان تفعل ما تريد ولن تترك زوجاً يتحكم بها. ولكن رالف يتحكم بها ويتدخل في حياتها بطريقة جهنمية... كان مصمماً، بطريقة غير مباشرة، ان يدير حياتها حسب رغبته. هل يخطط رالف لذلك وينفذ خططه؟ انها متأكدة من انه يفعل ذلك. انه لا يهتم بها كامرأة بل كزوجة مطيعة عليها ان تنفذ ارادة زوجها رضيت بذلك ام لم ترض.

نفد صبرها، فدخلت الحمام وتركت لأفكارها العنان. حياتها ترسمها الظروف فقط وليس لرالف اي تقرير مسبق لها.

لم يبد رالف اهتماماً في تحركاتها ولا مرة واحدة. لم يسألها أين تذهب؟ عاش حياته كما تعوّدها، يخرج ويدخل على هواه وكان لا يراها لأيام، ولا يهتم اذا ما بقيت على قيد الحياة أم لا. لماذا توصلت الى فكرة أنه يخطط لها حياتها؟ لقد اعتادت على نمط معين من الحياة

يختلف عن حياتها السابقة ولن تستطيع تغييره، الفكرة تضحكها. لديها قناعة بأنها معرضة لحساب دقيق اذا غيّرت نمط حياتها الجديد، ألم يصرّح رالف مراراً انه سيروضها يوماً ما حين يشعر بالملل.

كانت ما تزال في قمة غضبها حين خلعت ملابسها ودخلت الحمام. الحمام روتين يومي اعتادته. الحمام يخرجها من الملل القاتل الذي سيخنقها، حياتها فارغة. لا يمكنها ان تصدق ذلك زادت كراهيتها لرالف، مصيرها كلّه قد قرره لها. يوم خطفها ألم يقل لها ان الانتقام من صفات آل لينغارد. هل رأى رالف نتيجة انتقامه منها؟ انه يدفع الثمن غالياً فهو يتحمّل الآن عبء زوجة لا يريدها... سرت لهذه الفكرة، ولكن رالف لا يقلقه وجودها ابداً لأنه لم يغير نمط حياته نتيجة لهذا الزواج. بنظره الزواج كأنه لم يكن.

يتجاهلها ويعاملها بدون اهتمام. ذلك لا يحتمل! ماذا ستفعل؟ لم يسبق لأي كائن، رجل او امرأة ان جعلها تشعر بضعفها كما تشعر مع رالف، منذ أول لقائها به جعلها تشعر بضعفها، بدأ غضبها يفور وبدأت تهرش ظهرها وكتفيها بليفة الحمام بدون وعي. بدأ الجلد فوق كتفها ينسلخ. كم هي غبية لتفكر به وتفقد هدوء اعصابها. كان التفكير بزوجها يخرج من داخلها كل شيء بغيض ولا تستطيع بعد ذلك كبح جماح غضبها. لقد تحركت غريزة الهجوم في نفسها. كانت تشد بالليفة على جسمها وكتفها بدون هوادة. وتود لو تسلخ جلده هو ايضاً.

بدأ الدم يتصبب من كتفها، لم تستطع ان تلبس ثيابها فجلست متدثرة بالمنشفة. قرّرت ان تنادي مرتا لتساعدها ببعض الادوية والدهون، فتحت باب غرفتها وهي تنتظر ان ترى مرتا او جورج.. كان رالف أمامها فقال بخبث:

- أهلاً. هل تنتظرينني؟
- أنا... أنا اريد مرتا أريد بعض الدهون.
- لأي شيء؟

- جلدي ينسلخ.
- حروق شمس، ألم احذرك؟
- نعم ولكن بعد ان احترقت.
- لديّ بعض الدهون في غرفتي. سأجلبها فوراً.

دخلت ساره الى غرفتها وما لبث ان ظهر رالف من جديد ودخل غرفتها وقال لها مبتسماً بعد ما وضع انبوب الدهون وبعض الشاش واللزق:

- هل أساعدك. اين السلخ؟
- شكراً. استطيع ان اقوم بذلك لوحدي.
- اين السلخ؟ لا أمانع في مساعدتك... ربما لا تستطيعين الوصول اليه لوحدك.
- اخرج من غرفتي.

بدأ ينظر اليها بتحدٍ من رأسها لأخمص قدميها، اختفت نظرة السرور من عينيه، فتح قبضته ثم أغلقها كأنه يريد ان يضربها.

- ساره! اذا رغبت في تنظيف جرحك ودهنه سأفعل!
- حاول، وسترى ما سأفعل.

وتبخرت كلماتها قبل ان تخرج من شفتيها، لا تستطيع ردعه كما فعلت بأخيه سابقاً. ربما لو لم تكن بالمنشفة لاستطاعت ان تجعل اسنانها تعلّم في لحمه. سألها بلهجة قاسية:

- هل تتحدينني؟

بدأت ساره ترتجف، دقيقة واحدة من التردّد مع قليل من التحدي ثم قالت:

- لا. لا اتحدى.
- انت فتاة عاقلة.

ربما لحظ ارتعاشها، فأصبح صوته لطيفاً رقيقاً وهو يسألها من جديد عن مكان السلخ. اجابته:

- في كتفي.

بدأ السرور من جديد يغمر عينيه.

- كيف تستطيعين دهن كتفك لوحدك؟ امسك بالمعجون وفتحه: دعيني ارى السلخ.

قالت وقد تذكرت لمسته الكريهة:

- استطيع ذلك ولن يكون صعباً عليّ.

قال بعصبية:

- ابعدي المنشفة. لا تكوني غبية.

قالت غاضبة. لا أريد مساعدتك!

دائماً ينتصر عليها في مناسبات مؤاتية له، حيث تظهر هي بضعفها كأن لا حول لها ولا قوة وتذعن في النهاية لمشيئته قال بتحد:

- هل تبعدين المنشفة عن كتفك أم أبعدها أنا؟

رمته بنظرة قاسية ثم حسرت المنشفة عن كتفها وادارت له ظهرها وقد تمسكت بالمنشفة جيداً. لم يضيع رالف وقته وبسرعة أعمل اصابعه برقة فوق جروحها، شعرت بالدهون تداعب جروحها وتبردها. يده قوية ولكنها لطيفة في لمساتها فوق جروحها. وضع الشاش واللزقة فوقها.

- انتهيت. ربما لا تجلسين تحت اشعة الشمس الا لفترات قصيرة بعد اليوم.

رفع المنشفة من جديد فوق كتفها وأدارها لينظر في عينيها. كانت ملامحه قاسية:

- اللهجة التي طلبت مني فيها ان اترك غرفتك لا أريد ان اسمعها مرّة ثانية يا ساره، احذرك. ربما لا أتصرف بهدوء في المرة المقبلة.

قال ذلك وترك الغرفة بدون ان ينتظر جوابها. تركها وحدها تنظر الى الباب الذي أوصده خلفه، شعورها مختلط! تشعر بالغضب، ولكن غضبها لم يكن وليد كرهها لزوجها بل من الاحساس الذي ولدته لمساته الرقيقة فوق كتفها المجروحة.

٥ - ادخلي سجني بسلام

كانت ساره تشتعل بالغضب كنمرة في قفص. زوجها رالف يتغدى مع صديقته أديل في بيتها، بينما هي حبيسة المنزل لا تجد من تتكلم معه سوى مرتا وجورج.

- ليتني لم اتزوجه!

صرخت من غضبها. ولكنها لا تستطيع ان تتصرف خلافاً لذلك. والدها مريض وزواجها كان الحل لانقاذ حياته.

وقفت ساره امام النافذة تمتع ناظريها بالمناظر الخلابة، التلة تكسوها الاشجار وضفة الـ[illegible] الخضراء حيث ترعى الخيول قرب ملاعب الالعاب الاولمبية. [illegible] تختفي كل الضغائن والخصومات بين المدن اليونانية خلال فترة الألعاب، خمسة اسابيع كاملة ويسود السلام.

شرد ذهنها وتبخر غضبها وهي تتذكر منذ اسبوع حين داوى لها رالف كتفها من حروق الشمس غصباً عنها. لقد هددت وتوعدت عبثاً، وتذكرت مؤخراً حين تناولت الشاي برفقته في الحديقة، كيف كانا يتناحران بألسنتهما بطريقة طريفة. وبعد ذلك تناولا العشاء سوية. كان رالف رقيقاً مهذباً في تصرفه مثله في ليلة الزفاف. كأنه يواسيها ويحاول ان يعوض عليها ما فاتها. تمشيا بعد العشاء قليلاً وحين دخلت ساره معه بوابة هيكل حيرا شعرت ان كل غضبها قد مات. كان رالف يشرح لها عن بقية الاثارات، البريتانيوم حيث يجلس مدعو الشرف، وحيث كان يقام العشاء الاحتفالي في ختام الدورة، وتعلن اسماء الفائزين ويتسلمون جوائزهم. الفيلبيون وهو

مركز الادارة المالية ويتضمن ايضاً الملاعب المخصصة للتمارين اليومية. هناك باحات كبيرة يتمرن فيها اللاعبون لاسابيع عديدة قبل يوم المباريات وجميع هذه الباحات مسحتها مياه نهر كلاديوس. كان النهر يفيض بفعل الامطار الغزيرة وتجرف المياه كل ما تجده في طريقها وتسبب الاضرار الفادحة. تمشيا في اثار هيكل حيرا الذي بني منذ حوالى ٣ آلاف سنة. ثم دخلا عبر قنطرة تؤدي الى الاستاد الكبير حيث كانت تقام معظم المباريات.

تناولا عشاءهما باكراً قبل القيام بهذه النزهة وحين وصلا منطقة الآثار كانت الشمس تملأ المكان وبقي على موعد مغيبها حوالى الساعة. هنا وهناك بقايا الاعمدة المحطمة فوق الأرض، اعمدة كلسية بيضاء تعكس اشعة الشمس وتزيد الشعور بالهدوء والسلام. الجو ساكن ومنعش وتعطره رائحة اشجار التنوب والصنوبر التي تحيط ببساتين منطقة التيس. الازهار البرية تساهم كذلك بروائحها المختلفة، ولا تسمع سوى اصوات الحشرات التي تطير حولها. وبعض العصافير تعود الى اعشاشها في اشجار منحدرات جبال كرونيون المرتفعة فوق الاثار، قطع رالف الصمت قائلاً:

ـ افضل مكان في العالم للتآخي، هل تشعرين يا ساره بالسلام ام انت قوية ولا يؤثر فيك هذا الجو؟

لقد تأثرت ساره بهذا الجو الشاعر ولذلك لم ترغب في ان تجرحه بكلماتها اللاذعة. هذه البقعة في اليونان هي رمز الهدوء والسلام... تذكرت حياتها الصاخبة في بوركشاير، ومرحها مع حشد الشباب في الحفلات التي تمتد الى آخر الليل، اشتاقت لحياتها السابقة ولكن... بدأت الشمس تميل الى المغيب. وجه زوجها في الغسق الذهبي اخذ طابعاً ليناً، وقد شعرت نحوه بانجذاب قوي. كانا يقفان وسط اثار هيكل زيوس ومن بعيد وصل اليهما عزف مزمار لاحد الرعاة. ابتسمت ساره ومع صوت المزمار اكتمل المنظر الخلاب

لجبال اركاديان حيث الحوريات كانها تراقص الرعاة على موسيقى بان رمز الغابات والمراعي عند الاغريق.

ـ لم تجيبي على سؤالي يا ساره؟ هل اثر فيك هذا الهدوء؟ هل تمنعك كبرياؤك من الاعتراف بضعفك حياله؟

عبست ساره واحست بالألم يعصف بها، لم تدر ما الذي يوجعها؟ لا يمكن ان يكون شيئاً تفوه به رالف لأن كلامه لم يعد يجرحها او يؤثر فيها.

ـ انه هادىء.

اعترفت له، وسمعته يزفر زفرة ارتياح وارتسمت على وجهه علامات الرضى والانتصار وفي عينيه تعبير غريب ينم عن السخرية.

بدأ الظلام يخيم فوقهما. والقمر يلون السماء بنوره البنفسجي تحيط به بقية النجوم بنورها الخفيف وتزيد المكان سحراً وشاعرية. لأول مرة شعرت ساره ان الضغينة قد اختفت تماماً في علاقتهما وقال رالف:

ـ لقد اثرت فينا الهدنة لم نرم بعضنا ولا بحجر واحد منذ اكثر من ساعة ونصف.

ساعة ونصف... هو اقصى ما يستطيعان من هدنة لأنه قبل انتهاء الأمسية دارت معركة كلامية بينهما، ومنذ ذلك الوقت عاد رالف يعاملها كسابق عهده، لا يهتم لأمرها ولا يتكلم معها الا عند الضرورة القصوى، او ليقول لها مساء الخير. اكثر الاحيان يبقى خارج المنزل وبصحبة أديل. واذا بقي في المنزل تحضر أديل اليه ويتصرف تجاهها هي بعدم اكتراث وببرودة. اذا انفردت بأديل تبدي نحوها الاخيرة كل خشونة وتحد عن تعمد. لم تشأ ساره ان تعاملها بالمثل ولكن صبرها بدأ ينفد وستنشب معركة عما قريب بينهما. واذا حصل نزاع بينهما، جانب من سيأخذ رالف؟ لا شك انه يحب أديل كثيراً... عبست وهي تفكر بهذا الوضع المحرج وفكرت اذا كان رالف يحب أديل فلماذا لم يتزوجها من قبل؟ ولكن شقيقه اليكس قد

اخبرها ان رالف لا يؤمن بمؤسسة الزواج مع انه يحب النساء وله علاقاته. لقد اخبرها اليكس بأن رالف لن يتزوج. . . ولكن الظروف قد اجبرته على تغيير رأيه.

تركت ساره النافذة ونظرت الى فستانها الموضوع فوق السرير، انه اجمل اثوابها. لماذا اخرجته من خزانتها؟ هل يعقل انها تفكر في ان تلفت نظر رالف اليها، سوف يخيب ظنها اذا لحظها واعجب بها. . . سيكون كريهاً اعجابه او اهتمامه بها ولن تشعر بالاطمئنان اليه. وبدون وعي لمست ساره كتفها حيث الجرح الذي داواه لها رالف وقد شفي تماماً، ونظرت مجدداً الى ثوبها الازرق بلون عينيها يعكس لونه فوق بشرتها الشاحبة العاجية ويزيدها جمالاً. وخلعت ثوبها واعادته الى مكانه في الخزانة، فهي لا تريد ان تلفت انتباهه اليها. كانت ساره تعتقد ان رالف باق في المنزل، اذ امضى بعد الظهر مسترخياً يتشمس في الحديقة، يلبس بنطلوناً قصيراً وخفاً مريحاً. جلست تقرأ وهي مسرورة يغمرها شعور الاطمئنان. تناولا الشاي سوية وعاد رالف لغرفته ليبدل ثيابه وكذلك فعلت ساره. دخلت غرفتها واخذت دوشاً وبدأت تغيير ملابسها. سمعته ينزل السلالم ثم تحركت السيارة خارجة من البوابة. لم يذكر الى اين هو ذاهب ولكن ساره كانت تعرف. لا يهمه ان يتركها تمضي الليل وحدها، انه لا يعرف معنى الوحدة، ماذا يعني ان تبقى وحيدة في المنزل وتأكل طعامها وحيدة وتكاد تختنق بها. . . اختنقت بالغضب، لماذا اختار لها هذه الطريقة للانتقام منها؟ لو تركها وشأنها لكانت الآن متزوجة سعيدة مع رودي.

تركت هذه الفكرة سريعاً وعادت بذاكرتها الى جلستها الهادئة مع رالف بعد الظهر في الحديقة. لم يتكلما تقريباً ولكنها كانت تحس وجوده قربها وشعورها اليوم يختلف عن المرات السابقة حين كانت تجلس منفردة بنفسها. كانت تمني نفسها بتمضية السهرة برفقته، فصحبته افضل من بقائها لوحدها، ولكنه خرج ولم يذكر الى اين.

لبست بنطلوناً وبلوزة وخرجت تتمشى. لا يمكنها ان تبقى وحيدة في المنزل وتأكل عشاءها وحيدة، ستذهب الى الصرح حيث اثار الملاعب الاولمبية وربما تتمشى على ضفة النهر وستمضي الوقت بالمشي بدلاً من المكوث في المنزل تتضجر وتتذمر. غمرها شعور بالأسف الشديد لحالها.

لاحظت ساره ان المكان يغص بالجموع الغفيرة في هذه الأمسية، مشت ضمن البساتين ومن الغريب كيف يزيد شعور المرء بالوحدة حين يكون ضمن جمع غفير. تمنت لو يختفي الجميع من حولها وتبقى وحدها في هذا المكان. تمشت على مهل وهي تشعر بأن الجميع يراقبونها. جلست فوق بقايا عامود وسرحت بأفكارها. لماذا احضرها رالف الى هنا في ليلة سابقة؟ كل شيء يبهج في هذا المكان، ربما هو يحاول ان يذيقها طعم السرور ولو جرعة صغيرة ثم يتركها عطشى تطلب المزيد، بعد تلك الأمسية عاد رالف يعاملها كسابق عهده من البرودة وعدم الاكتراث. اليوم، وبعد اسبوع واحد من مشواره معها، بقي بجانبها ورفع من معنوياتها ثم عاد في المساء وتركها للضجر، هزت رأسها بعد ان نفد صبرها، وبخت نفسها على غبائها، في المناسبتين بقي رالف في المنزل لأنه كان يرغب في ذلك ولا يهمه ابداً ان يزيل عنها ضجرها او يسليها، الم يوضح لها علاقته بها منذ البداية، بأنه لا يهتم بها قطعياً؟

- ليتني لم اتزوجه! قالت ذلك وكررت جملتها مرة ثانية للتأكيد. ولكن، لا مجال لتتصرف بغير ذلك. وضعت يديها على وجهها لتمنع دموعها من ان تسيل من مآقيها وارتجفت قائلة: لن ابكي! ليس هناك اي رجل يجعلني ابكي! الم اقسم على ذلك منذ زمن بعيد؟ زفرت ساره زفرة الم واذا بسيدة تتكلم معها بلغة لا تعرفها ولكنها فهمتها.

قالت ساره تكلم السيدة بقربها:

- انني بخير.

لم تفهم المرأة لغتها ايضاً. مر بها زوجان شابان. قالت الزوجة

الشابة تخاطبها:

- هل انت مريضة. هل تريدين اي مساعدة؟
- شكرًا جزيلًا. انني بخير.

قالت ساره بتهذيب. حضر شاب وسيم وانضم الى الزوجين وسأل ما الخبر؟ قالت الزوجة الشابة:

- اعتقدنا انها مريضة ولكنها تؤكد انها بصحة جيدة. هل وجدت قناة جر المياه القديمة التي كنت تبحث عنها؟

هز الشاب الوسيم رأسه ايجاباً بدون وعي. كان مأخوذاً بجمال ساره. قال:

- هل انت متأكدة بأنك لست مريضة؟ وجهك شاحب.

كذبت ساره:

- لدي صداع بسيط.
- ربما حرارة الجو. الجو شديد الحرارة اليوم. هل انت في عطلة؟
- لا. انا اسكن هنا.
- هنا في اولمبيا؟ كم انت محظوظة، شقيقتي تعيش هنا ايضاً.

نظرت ساره الى الزوجين الشابين. كان الزوج يونانيا اسمر جميلا ذا شعر اسود ويبدو اكبر من الفتاة. لا بد انه زوجها. سألت ساره بأدب:

- واين تعيشين انت؟
- فوق التلة. اشارت ساره بيدها الى منزل زوجها ثم اكملت: هل انتما في عطلة؟
- انا فقط. ازور شقيقتي وصهري مرتين في السنة.

كان شاباً وسيماً عليه امارات التهذيب وقد ظهر على وجهه اعجابه الشديد بساره. سألها:

- هل تعيشين وحدك؟ يبدو انك وحيدة.
- انا وحدي هنا...

لم تكمل حديثها كأن انفاسها قد اختنقت. سألها الوسيم:

- هل كنت تمشين وحدك؟

يبدو انه نسي الزوجين الشابين قربه. نظرت ساره الى الزوجة ورأتها تبتسم. هل شقيقها شاب عابث؟ قالت ساره:

- الجو لطيف في المساء. اردت ان امشي قليلاً. سأعود للمنزل الآن.

قال الشاب الوسيم:

- لماذا تعودين؟ تعالي معنا اذا اردت. ثم نظر الى شقيقته وزوجها وقال:
- لن يضايقكما ذلك!

قالت الشقيقة:

- لا ابداً.

شعرت ساره بحمرة الخجل تكسو وجهها. تمنت ان لا يعتقد مرافقوها انها فتاة عابثة.

- هل ستأتين برفقتنا. قولي نعم. شقيقتي وزوجها ما زالا عاشقين بعد زواج ثلاث سنوات. اشعر كأنني اقف بينهما عزولاً رقيباً.

قالت الزوجة الشابة تخاطب ساره:

- لا تهتمي لما يقول. هذا عذره دائماً ليتعرف الى الفتيات في مثل هذا الظرف، لديه العديد من الصديقات احذرك.

تكلم الزوج بعد ذلك برصانة وجدية وقال:

- اذا رغبت في الانضمام الينا سنكون سعداء برفقتك. لقد انتقلت وزوجتي الى اولمبيا منذ ستة اشهر فقط، ولا نعرف العديد من السكان ويسرنا ان نتعرف اليك.

قالت ساره بلباقة:

- شكراً. يسرني ان امشي معكم.

قال الشاب الوسيم وهو يمشي قربها:

- حسناً.

وضعت ساره يدها في جيبها. رغبت بعض التغيير في حياتها اذ لن

تؤذي بتصرفها احداً. زوجها لا يهتم لو كان لديها نصف دزينة من الرفاق.

ساره التقت دنكان في اليوم التالي وذهبت برفقته في سيارة صهره وشقيقته الى طرابلس. بدأوا في الصباح الباكر لان المشوار طويل والمسافة حوالى المئة وستين ميلاً ذهاباً واياباً. كان الصباح جميلاً والشمس مشرقة والسماء زرقاء صافية، تعرف دنكان الى منزلها في المساء الفائت ورتب معها امر مشوار اليوم.

قال دنكان يخاطب ساره قبل ان يتركها:

- ستأتين معنا غداً. لن تخذليني!

وعدته صادقة وقالت:

- احب ان آتي معكم.

جلست ساره قربه في سيارة صهره. ارادت ان تستفيد من نزهة هذا اليوم وتعيشها كما يجب، فهذه فرصة ارسلتها لها السماء لتبعد عنها الضجر والملل. تركت خاتم زواجها في البيت، ولم تشعر بتأنيب الضمير لتركها خاتم زواجها لانه لا يعني لها اي شيء. من الافضل في ظروفها الحالية ان لا تظهر حقيقة زواجها.

تركوا اولمبيا التي تقع في سفح جبل كرونيوس وساروا وسط البساتين الخضراء في الضواحي الهادئة، بدأوا في الصعود وسط مناظر خلابة. كان نهر لادن ينساب في سهل رملي عند سفح الجبل، اكملوا صعودهم في طريق اكثر ارتفاعاً ودخلوا جبال اركاديان حيث المناظر اكثر وحشية. توقفوا مرات عديدة في طريقهم ليتأملوا المناظر الخلابة. توقفوا في لنغاديا وجلسوا في مقهى صغير ليستريحوا. تناولوا عصير البرتقال المثلج وتحادثوا. اهتمام دنكان كان محصوراً بساره واهتمام صهره بزوجته. قال دنكان بعد مغادرة الاستراحة.

انها مدينة غريبة مبنية على الطراز القديم، الابنية مرعبة ترتفع مئات الاقدام وقد طوقتها الاعمدة الحديدية القوية.

تذكرت ساره ان أديل تسكن هنا في لنغاديا. حاولت ان تنسى

أديل. انها في نزهة لتتمتع. لا يحق لا لزوجها ولا لصديقته ان يعكرا عليها صفو يومها.

سألها دنكان:

- هل ترغبين في شراء بعض التذكارات. هناك وسائد وسُجادات محاكة باليد وفخاريات جميلة وفضية مصنوعة باليد.

- لا. لا اعتقد. وانت؟ الن تأخذ معك بعض التذاركات.

- سآخذ. هل تساعدينني؟ اريد شيئاً لوالدتي وآخر لعمتها العجوز... ثم لجدتي.

ربما يكون دنكان من الشباب العابث ولكنه لطيف. ساعدته في انتقاء التذكارات وهي تذكره ان الاسعار المعروضة تفوق بكثير ثمنها الحقيقي ويمكنه ان يساوم. تجار اليونان مغالون ولا تضيرهم اي مساومة بين الزبون والتاجر.

قالت:

- انهم فقراء. لا تخفض الثمن كثيراً.

ثم ناولته حقيبة يد مطرزة انتقتها لوالدته. اكملوا مشوارهم. مناظر بديعة في ضواحي هادئة عبر غابات التنوب، والأراضي المثلمة المزروعة والشمس حادة فوق الطريق الخالية من الظلال. انتهوا الى طريق مستقيمة تختلف عن الطريق الجبلية الوعرة ووصلوا طرابلس وقت الظهر في موعد الغداء.

كانت ساره تريد ان تكمل مشوارها الى سبارطة ولكن القيادة في الطرقات الجبلية متعبة، ثم هناك طريق العودة. منذ فترة لم يكن يهمها اذا كان رفيقها في النزهة سيشعر بتعب ام لا. اذا رغبت في اي شيء، كانت طلباتها تنفذ كأنها اوامر تطاع بدون جدل، لقد اصبحت ساره ارق في معاملاتها. من المؤكد ان رودي كان سهل القيادة وكذلك اليكس... اليكس طباعه مخيفة فهو من آل لينغارد. كان يخطط لاخضاعها بعد الزواج ليريها انه السيد في المنزل الزوجي، ولكنها اكتشفت طبيعته الحقيقية ونواياه قبل فوات الأوان.

كانت ساره دائماً تصرح انه لا يمكن ان يخضعها اي رجل.

بعد الغداء تجولوا في مدينة طرابلس وتفرجوا على الواجهات واشتروا بعض الهدايا للاقرباء. سألها دنكان بفضول:

- لمن تشترين؟

حاولت ساره ان تتملص من الاجابة. غيرت الموضوع. عليها ان لا تتحدث في موضوع حياتها الخاصة لأن الموضوع خطر. احبت المدينة وبقيت فيها مدة قصيرة قبل البدء في طريق العودة الى اولمبيا عن طريق لنغاديا. اقترح دنكان عليهم العشاء في مكان على الطريق. سألها دنكان:

- لماذا لا ننهي هذا اليوم سوية، سنتأخر في العودة وانا لا يهمني ذلك. وانت؟ هل تستطيعين التأخر؟

- لا يهمني، استطيع العودة متى اردت. قالت حزينة. لا احد ينتظرني حتى لو عدت صباحاً.

قال دنكان بعد ان جلسوا في مقهى صغير:

- عليك بتناول المازات مع الشراب يا ساره. ثم طلب لهم الكاس الثانية من الشراب. لا تتناولي الشراب بدون طعام. انه مضر للمعدة الخاوية.

- انا لست جائعة.

قالت تشارك مرافقيها الشراب وهي مقتنعة بانه لن يؤذيها.

وصلوا عند منتصف الليل الى اولمبيا. طلبت منه ساره ان ينزلها قرب المنزل. كان صوته مازحاً حين قال:

- الوقت متأخر، علي ان اوصلك الى بيتك. ما الأمر، الا توافق والدتك على خروجك مع غريب؟

- انا لا اعيش مع والدتي. يمكنك ان توصلني الى البيت. سادلك على الطريق.

كانت تشير الى طريق بيتها بدون ان تتكلم مع احد. سألها:

- مع من تعيشين اذن يا ساره؟ هل تعيشين مع اقرباء؟

- نعم. اجابته وهي تضحك. لا يمكن لرالف ان يكون قريباً لها!

- مع من؟ اصر على ان يعرف الحقيقة. اخبرته. تعجب كثيراً وقال: زوجك؟ لا يمكن ان تكوني متزوجة!

- نعم انا متزوجة. كان علي ان اخبرك.

- ولكنك لا تلبسين خاتم زواج. هز رأسه مذهولاً: لا يمكنك ان تكوني متزوجة منذ زمن. كم يبلغ عمرك بحق السماء؟

- حوالى العشرين سنة.

سألها:

- وكم مضى من الوقت على زواجك؟

- ثلاثة اشهر.

- فقط! وترافقيننا هذا اليوم؟ هذا جنون... منذ ثلاثة اشهر. الن يغضب زوجك؟ هل هو مسافر؟ هل يعمل خارج المدينة؟

- على مهلك يا دنكان. لقد وصلنا البيت.

اوقف السيارة الى جانب الطريق واضاء النور الداخلي للسيارة.

- هل زوجك يعمل خارج المدينة؟

- لا. انه يعمل هنا في المدينة ولكن لا يهمه اذا خرجت مع صديق لي، لا تصعق نحن نعيش على الطريقة الحديثة، انا وزوجي متفاهمان هو لديه صديقاته وانا لدي اصدقائي. لن يمانع زوجي في حضورك الى المنزل للعشاء معنا متى اردت.

صمت دنكان. كان يفكر. لم يجد كلمات ليقولها.

القمر يغمر الوادي بنوره. بقيت ساره صامتة لفترة تتأمل وهي تنظر الى الآثار في الهيكل والجبال الهادئة. غمرها السلام والهدوء. من الغريب كيف تؤثر فيها هذه الاماكن الاثرية ترى هل تؤثر على الآخرين بالطريقة نفسها؟ لقد وفق اليونانيون القدماء باختيار هذه المنطقة لألعابهم الأولمبية. انها تختلف كثيراً عن الاماكن الوحشية في ابوللو في دلفي، كما اخبرها رالف. المناطق التي تقع تحت سيطرة ابوللو المتعجرف المتكبر الذي يمثل الرجولة. اما هذه المناطق الرقيقة

فهي تمثل الانوثة. انها حيرا زوجة الرمز زيوس منطقة خضراء بين البساتين، ترمز وتجسم رأي اليوناني بالمرأة وكيف يجب ان تكون.
شعرت ساره باختناق في حنجرتها وهي تتذكر شعورها حين زارت هيكل حيرا برفقة رالف وتذكرت اسئلته لها وهو لا يخفي سخريته حين قال:

- هل اثر فيك هذا المكان؟ هل تمنعك كبرياؤك من الاعتراف بضعفك؟ تذكرت ساره كيف احست كأن حربة دخلت قلبها. لماذا اخذها الى الهيكل؟ هل اراد ان يذكرها بأنوثتها؟ هل رغب ان يعرفها كيف يجب ان تكون المرأة الحقيقية رقيقة وهادئة، نفد صبرها وطوت افكارها جانباً. في الفترة الأخيرة اصبحت معتادة على السرحان في افكارها، خيالاتها تستوعب قسماً كبيراً من حياتها اليومية. ترى هل خطط رالف زيارتها للهيكل لأنه يهتم بها؟ لا، لا يمكن. كان دائماً يفهمها عدم اهتمامه بها كامرأة او كزوجة. لا تهمه تحركاتها ولا سلوكها، قطع دنكان افكارها قائلاً:

- يجب ان اعترف الآن انني شعرت بشيء غريب معك. لقد امضينا اليوم بطوله سوية، وكنا سعداء برفقة بعضنا ولكنك لم تخبريني اي شيء عن نفسك.

- وانت ايضاً لم تخبرني اي شيء!

- تعرفت الى شقيقتي وصهري، وعرفت انني اعيش مع والدتي. لماذا اخفيت خاتم زواجك؟

قالت حزينة:

- ظننت انك لا ترحب بمرافقتي لو علمت انني متزوجة.

- هذا صحيح، ربما اكون عابثاً ولكنني ابتعد دائماً عن المرأة المتزوجة.

- ولكننا امضينا يوماً جميلاً بالرغم من ذلك، لو لم اترك خاتم زواجي في البيت لافتقدنا كلانا متعة هذا اليوم.

هز رأسه مذهولاً. لا تعليق لديه على قولها لكنه عاد وسألها:

- هل تقولين الحقيقة؟ زوجك لا يمانع في اختلاطك برجال آخرين؟ اي نوع من الرجال هو؟

- انا لا اذهب مع الرجال، هذه اول مرة اخرج فيها مع رجل آخر. لقد قبلت الخروج معك لوجود صهرك وشقيقتك من ضجري.

- ضجرت بعد ثلاثة اشهر من الزواج! ساره اشعر وكأنني وقعت في فخ.

قالت بصوت خفيض:

- لا. لا شيء من هذا القبيل. يصعب علي التفسير. انك رجل غريب وسوف لن اراك مرة ثانية.

- ولكنني اريد ان اراك مرة ثانية يا ساره بالرغم من كل ذلك، انا اعرف الضجر ايضاً. حين اتعرف الى فتاة يتبدد ضجري. انا صادق عندما قلت ان هايلي شقيقتي ومانولي زوجها يحبان بعضهما كثيراً وانا بينهما كالعزول، الآن نحن اربعة حين نخرج، ارجوك يا ساره لا تقولي انك لن تريني مرة ثانية. اذا كان زوجك كما تقولين لا يهمه... يا الهي! ساره انا لا اصدق. انت جميلة وفاتنة ولطيفة. سأجن من الغيرة لو كنت زوجتي... انا لا احتمل ذلك! اي نوع من الرجال هو زوجك؟ هل هو غير كفء... احمر وجهه خجلاً ثم اعتذر. لا استطيع ان اقول ذلك لأنه من الواضح انك تحملين له بعض المحبة.

- هل تسألني ان كنت احبه؟

- لا يمكنك. والا لما خرجت بصحبتي، هناك بعض الغموض، أليس كذلك؟ هل اكتشفت ان زواجك غلطة؟ هل انت غير سعيدة؟

- قلت لك انه يصعب علي شرح هذا الأمر يا دنكان. قالت بلهجة قاطعة. لا يمكنني ان اتكلم عن هذا الموضوع. عليك ان تنساه كلياً، عنيت ما قلته بشأن دعوتك الى العشاء عندي في المنزل، سأخرج معك حين تكون هنا في عطلتك. واذا كان الوضع لا

يعجبك نودع بعضنا الآن.

- لا. لا استطيع.

ابتسمت ساره. كل الرجال لديهم كرامة وكبرياء ولا يمكن خداعهم، ولكنهم اكثر خداعاً من المرأة. كاد دنكان يخبرها انه يحبها، زواجها كان ضربة غير متوقعة له، هي تفهم انه يعبث معها وسينساها حين تنتهي عطلته ويرحل وسينساها كما نسي العديدات قبلها. انه شاب وسيم ولطيف، وسيكون زوجاً صالحاً لامرأة اخرى غيرها. وبعد الزواج سيعاود مغامراته السابقة وعبثه مع الجنس الاخر بينما تبقى زوجته سجينة المنزل والاطفال واعمال البيت المضجرة. متى تتعلم المرأة؟ سَألته:

- حسناً يا دنكان. ما هو موقفك؟

- كم اعصابك باردة، لا اعرف بماذا اجيب.

- هكذا يقول زوجي عني. ضحكت ببرود. ما هو رأيك؟

- سنخرج سوية طوال مدة بقائي وهي ثلاثة اسابيع. ولكنني اقبل دعوتك لنا للعشاء، انا فضولي واريد ان اتعرف الى زوجك الغريب الاطوار.

اتفقا على ان يتقابلا في التاسعة والنصف من صباح اليوم التالي. لف ذراعه حولها وقربها اليه وقرب وجهه من وجهها ثم تراجع وقال:

- انت تعرفين يا ساره ان في خروجك معي وقاحة وجرأة ولكني خائف من عناقك. اتعجب اذا كنت ستصفعين وجهي لو فعلت؟

فتحت باب السيارة وخرجت مسرعة:

- عليك ان تنتظر الى الغد لتكتشف ذلك.

ضحكت واغلقت الباب خلفها وركضت الى مدخل البيت وقد شعرت بدوار خفيف في رأسها وبعض الجمود. كان رالف يجلس في غرفة الجلوس. لم يلتفت اليها حين دخلت، وجهها احمر ونفسها مقطوع، تجاهله لدخولها جعل غضبها يشتد. قالت:

- كنت في الخارج.

جلست على كرسي امام الاريكة. لم يبد رالف اية ملاحظة. كررت قولها بصوت مرتفع.

قال بهدوء:

- سمعتك من المرة الأولى.

- الا تريد ان تعرف اين كنت؟

- لا. لا اعتقد. لا يهمني.

- عملت بنصيحتك ووجدت لنفسي صديقاً!

قال وهو يتفحص وجهها الممتقع:

- هذا سيجعل الحياة اكثر راحة لك. هل انت مريضة؟ لمعت عيناها شرراً واختنقت بالغضب وخيبة الأمل. هو لا يهتم لما تفعل وهي تفضل ذلك.

- لا. انا بصحة جيدة، سأخرج معه غداً وسنمضي اليوم بكامله في الخارج.

- حسنا. صفق لها: التغيير ينفعك. وضع يده على فمه وهو يتثاءب: سأذهب لأنام. ضحك وقال: مساء الخير يا ساره. نامي جيدا. هل اطلب من مرتا ان توقظك باكراً ام تستيقظين لوحدك؟

قال ذلك وخرج. رمقته ساره بنظرة قاسية. ثم ركضت خلفه وقالت بغضب:

- طلبت منه أن يزورني في البيت. . . وسيحضر للعشاء غداً. بدأت تتمسّك بالكرسي لأن رجليها بدأتا ترتجفان. لا بد انه تأثير الشراب عليها.

- أهلاً وسهلاً. سأجلب اديل، انتظري، لقد عملت معها ترتيبات اخرى. في كل حال اسأليه أن يحضر في ليلة اخرى وأخبريني قبل الوقت المحدد.

- الا يهمك أنني أخرج مع رجل غيرك؟

- أنا لا اهتم. ولماذا اهتم؟ أنت لا تعنين لي أي شيء، ما أغرب ما تقولين يا ساره. ظننت أننا متفاهمان في مواقفنا هذه. انت لك طريقك وأنا لي طريقي. كنت سعيداً في حياتي قبلك ولا أنوي أن

اغيّر من نمط حياتي الان.

- ولكننا متزوجان. شعرت كأن رأسها ينخلع. كل شيء يدور حولها: نحن متزوجان. كررت قولها وضربت الأرض برجلها: هل تسمع؟

شعرت كأنها ستبكي، لا بد وأنّ هذا الشراب اللعين يجعلها كئيبة ولاحظت اهتمامه بها الأن. بدأ يتفحصها بتمعن كأنه ينتظر أن يحدث لها شيء ما، سوف لن يرى دموعها، لقد هددها بأنه سيجعلها تبكي... لا لن يفعل! كان رالف ينتظر ويضحك لانتصاره عليها ليتشفى منها، ستخيّب امله.

- نعم نحن متزوجان. قال بهدوء: متزوجان بحكم الضرورة والظروف. زواجنا لا يعني اي شيء لنا. انا لدي اديل، وكما كررت لك انها امرأة افضل منك بكثير.

كان رالف لا يزال يقف وقفة انتظار. ينتظر حدوث شيء ما لها، ربما ينتظر تأثير كلماته الجارحه عليها.

- أنا اكرهك. قالت بحزم كأنها تتمتم: وسأظل أكرهك طول العمر.

أمسكت الكرسي بيدها خوفاً من الوقوع. سألها بغضب:

- اين خاتم زواجك؟

قالت:

- خلعته. هو لا يعني لي أي شيء.

تلا كلماتها هذه صمت غريب.

- نعم. وافقها رالف: نعم ياساره انه لا يعني اي شيء.

بقيت ساره وحدها وقد ملأت الدموع مآقيها وهي تسمعه يغلق باب غرفة نومه.

٦ - زوجك رجل مجنون

فتحت ساره عينيها في صباح اليوم التالي واعادت اغلاقهما.

- رأسي سينفجر. ضغط كبير فوق رأسها، ادارت رأسها فوق الوسادة تحاول ان تخفف الضغط عن رأسها، لم تشعر براحة. جلست في فراشها ووضعت يدها على عنقها. قال لها دنكان ان لا تشرب بدون طعام ولكنها لم تعتقد ان كأسين فقط من الشراب سيتعبانها بهذا الشكل الفظيع. كم الوقت؟ انها الثامنة والنصف، لا تستطيع الذهاب لموعدها مع دنكان، كيف ستخبره بقرارها؟ مشت الى الحمام. غسلت رأسها بالماء البارد. لم يتحسن الوجع الا قليلاً. نزلت الى غرفة الطعام حوالى التاسعة صباحاً. كان رالف قد انتهى من الفطور ولكنه ما زال يجلس الى الطاولة يقرأ رسالة. نظر اليها ببرود وقال: صباح الخير. كان مهذباً ولم يلتفت اليها بل اكمل قراءة رسالته، بعد فترة قصيرة عاد ينظر اليها بتفحص وسألها:

- هل رأسك ثقيل؟

- نعم. لقد شربت البارحة.

جلست الى الطاولة ولم تتناول شراب البرتقال الموضوع امامها.

- كم كأساً شربت؟

- اثنين فقط.

كرر سؤاله:

- لا تكوني سخيفة، كم كأساً؟

- قلت لك اثنين. ولكنني لم اتناول اي طعام مع الشراب.

- كيف تفعلين ذلك؟ كيف تركك صديقك العابث ان تفعلي

ذلك؟

بدأت تشتعل بالغضب حين اشار الى دنكان بدون اكتراث وهو يصب لنفسه فنجاناً من القهوة بدون ان يعرض عليها. لو كانت أديل امامه لكان اهتم بصب فنجان من القهوة لها.

- لقد نصحتني بتناول الطعام مع الشراب، هل لك ان تناولني ابريق القهوة؟

- تفضلي. وانصحك ان تبتعدي من الآن فصاعداً عن الشراب. انه لا يناسبك.

اعطاها ابريق القهوة. صبت لنفسها نصف فنجان وسألها:

- هل ستخرجين اليوم؟

قالت بلهجة متحدية:

- نعم. سأخرج.

قال يحذرها:

- انتبهي. لا تخاطبيني بمثل تلك اللهجة. لقد انذرتك من قبل. كونك زوجتي لا يضمن لك الأمان في مخاطبتي بهذه الطريقة بل على العكس.

عيناه السوداوان تقدحان شرراً اكثر من بريق عينيها. كلماته لم تؤثر بها اطلاقاً. بل على العكس اثارت غضبها لدرجة انها تمنت لو تصفعه بيدها.

اكمل قوله:

- اتمنى ان تكوني قد غيرت رأيك بشأن الخروج وانصحك بأن تعودي لفراشك لساعة او اثنتين.

- شكراً لنصيحتك. ولكنني سأخرج.

كانت ساره قد غيرت رأيها بالخروج، ولكنه قد استفزها لتتصرف عكس ما نصحها.

- انا حرة في ان افعل ما اريد.

قال بهدوء وحزم:

- اذا قررت ان تبقي في الفراش. فستبقين.

قالت:

- ولكن انت لا يهمك ان خرجت او بقيت!

- قلت انك حرة التصرف. تفعلين ما تشائين شرط ان تكوني متسترة. تناولك الشراب ليس عملاً متستراً، هل نسيت ما قلت لي الليلة الماضية. تذكري.

احمرت وجنتاها خجلاً وخفضت عينيها. كانت تتمنى لو ينسى ما قالته له، لقد ذكرته بأنهما زوجان وسألته ما اذا كان يهتم لوجود صديق في حياتها. شعرت بالذل وهي تنظر الى عينيه. لو انها لم تشرب؟ لن تشرب مرة ثانية حتى لا تتلفظ بأشياء مخجلة فتصرفها جعل زوجها يظن بانها تحاول ان تجعله يغار عليها، وهذا ما لا ترغب فيه ابداً. قالت:

- شربت كأسين فقط.

- هذا اكثر مما تتحملين. لا اريد ان تحضر زوجتي الى البيت بهذه الحالة، انتبهي في المستقبل.

كان يتكلم بكبرياء وانفة. طريقته الباردة في تجاهلها قد اختفت كلياً، ويبدو عليه بعض الاضطراب. هل من الممكن ان يكون مهتماً بما فعلت؟ ولكن لماذا يهتم؟ وجودها في حياته لا يزيد عن وجود مرتا. او حتى اقل، ان مرتا تشتغل مقابل معيشتها.

- لماذا؟ الم تقل لي انني استطيع ان افعل ما اريد. وهذا ما سأفعل.

- قلت ذلك اذا كنت متسترة بأفعالك. لا اسمح لك ان تتحديني يا ساره.

- انت لا تسمح. لا تستعمل هذه اللفظة معي. قالت غاضبة: لن يكلمني اي رجل بهذه اللغة. اظنك تعرفني جيداً، فأنا لا احتمل اي سيطرة من اي رجل ولو كان زوجي.

بدأ فمه يرتجف وينذر بالويل. كانت مستعدة للمعركة ولكن

وجع الرأس والتشنج في عنقها جعلها ترتبك. وضعت يدها فوق رأسها بعفوية ثم تذكرت موعدها مع دنكان خارج المتحف. راقب رالف حركتها وبدلاً من الكلام الجارح الذي كان يتبادله معها نصحها مجدداً في ان تعود لفراشها لتستريح ساعة او اكثر. عنيدة ومشاكسة، بالرغم من المها اخبرته انها ستخرج لموعدها ولن تأخذ بنصيحته. قال بحزم:

- حسناً. ستبقين في المنزل اليوم ولن تخرجي لأنني انا اقول ذلك.

رفت عيناها قليلاً. حدقت فيه. كان جسمها يرتجف غضباً. حدق رالف بها بوحشية مما اضطرها ان تخفض عينيها قليلاً. لم تغلب بعد. قالت:

- لا اعتقد ذلك. لدي موعد وسأحافظ على موعدي.

- سوف نرى.

طوى رالف وسادته ونظر اليها متحدياً.

- وكيف تقترح ان تبقيني.

رفعت رأسها تسأله ولكن الألم كان موجعاً.

- سأقفل على ثيابك... هي ليست فكرة جديدة، لقد نفذتها سابقاً. انها طريقة بسيطة ولكنها فعالة فأنا احب الخطط البسيطة.

- في المرة السابقة لم اكن مستعدة. فاجأتني!

- الآن انا انذرتك مسبقاً. كيف ستتصرفين؟

- هل تعتقد انك تستطيع ان تبقيني في البيت؟

- اذهبي الى الفراش قبل ان افقد السيطرة على اعصابي.

بدأت الغرفة تدور بساره. وضعت يدها مرة ثانية على رأسها بدون وعي. ما ابشع ما تشعر به، ليس لديها النية في الخروج ولكن كيف ستقنع رالف بأنها باقية بارادتها وليس لأنه اجبرها. ما تزال تعارك، وقف رالف مهدداً:

- انك تصرين على امتحان صبري. منذ اول عراك لنا اجبرتك على تنفيذ اوامري، ما الذي يجعلك تعتقدين انك تستطيعين مقاومتي

الآن؟ قلت بأنك ستبقين في الفراش وهذا ما ستفعلين. اذهبي فوراً قبل ان احملك بنفسي.

- ستكون مهمتك صعبة!

- بدون شك ولكن هل تعتقدين ان قوتك تعادل قوتي؟

لم تجبه. شعرت بضعفها حتى على الكلام. لم تعد تهتم لاي شيء، وكل ما كانت ترغب فيه هو الفراش وحبوب مهدئة ليذهب عنها المها. تمتمت بضعف وتركت الطاولة وقالت:

- سأصعد لغرفتي.

وهي في فراشها، كان رالف يحمل لها حبة الدواء المهدئة مع الماء. قالت بترج:

- هل تخبر دنكان بمرضي؟ انه ينتظرني خارج المتحف.

- سأرسل جورج فوراً. حاولي ان ترتاحي وانتبهي لنفسك في المرة المقبلة.

لم تلاحظ اختلاف لهجته. كانت تنظر اليه باستكانة. بدا وسيماً بالرغم من قساوته الموروثة، في ملامح وجهه وفي عينيه نظرة المتشرد الخارج على القانون. كان صوتها ضعيفاً طفولياً وهي تقول له:

- لا بد وانك تهتم بي قليلاً بالرغم مما تقول.

- لماذا؟ وهل ذلك ضروري؟

- انك تهتم بي... تريدني ان ارتاح واشفى من المي واوجاعي.

- من اجل ذلك وصلت الى هذه النتيجة، انني اهتم بك، اعتذر لأنني سأخيب املك. لكنني لا اهتم بك اكثر من اهتمامي بك يوم تزوجتك يا ساره، لقد جعلتك تبقين في الفراش فقط لانفذ اوامري، وافرض سيطرتي عليك، انك دائماً تطلبين مني اخضاعك. طباعك المتعجرفة والمتحدية تجعلني مستبداً. انا لن اكون كخطيبك رودي بدون عمود فقري، لن اسمح لك بتنفيذ رغباتك قبل رغباتي. واذا تماديت في تحدياتك ستنتظرين مني دائماً ان ارد لك التحدي باكثر منه. هز رالف رأسه مسروراً: انا لا اهتم لما تفعلينه ما دمت تحترمين

سيادتي عليك. هذا ما لم تتعلميه بعد بالرغم من الدروس المكررة. حياتك ستكون ابهج عندما تتعلمين ان تحترمي سيادتي.

اغمضت ساره عينيها، ارادت ان ترد له الصاع صاعين ولكن قواها خارت وقالت:

- هل تطلب من جورج ان يدعو دنكان للعشاء الليلة؟ انا لا ارغب في العشاء لوحدي.

- سأهتم بايصال هذه الرسالة له.

ذهب رالف الى النافذة واغلق الستائر حتى لا تدخل الغرفة اشعة الشمس. ثم ترك الغرفة بصمت.

كان الحر شديداً والسماء خالية من الغيوم. ورالف يجلس في الحديقة تحت ظل العريشة وكذلك ساره ومعها اشغال الصوف تتسلى بها. احضر جورج لها عصير الفاكهة المثلج. شربت العصير وهي تسمع ازيز الحصاد وازيز النحل المتطاير حولها وسط الأزهار والعليق.

اخبرت ساره رالف انها تنوي دعوة اصدقائها الجدد للعشاء في الليلة المقبلة. رفع رالف نظاراته الشمسية عن عينيه ونظر اليها متعجباً. سألها:

- هل هم ثلاثة؟

اجابته:

- نعم، دنكان وشقيقته هايلي وزوجها مانولي، هو يوناني وهي اجنبية، حضرا للسكن في اولمبيا مؤخراً، دنكان في عطلة لثلاثة اسابيع فقط. نحن نخرج سوية.

قال وقد اتسعت عيناه سروراً:

- انتم سوية! اعتقدت انك تخرجين مع دنكان منفردين، لماذا لم تذكري الاخرين.

- انهم طيبون، ستحبهم حين تتعرف اليهم غداً مساء.

كانت ساره نادراً ما تجد الفرصة للتكلم معه. فغالباً ما يكون

مشغولاً بمكتبه او في الخارج.

- ما هو تفسيرك للعلاقة الغريبة التي تربطنا؟ لا بد انهم تعجبوا كيف اسمح لك بأن تعاشري رجالاً غيري.

- لماذا تستعمل هذه اللفظة، هذا لا ينطبق علينا. انت لا تسمح لي بل انا افعل ما اريد.

- لانني اسمح لك انا بذلك. قال مسروراً: حالما تتقبلين الوضع على حقيقته ستشعرين بالراحة والسرور. اذا قررت انني لا اريدك ان تخرجي مع غيري عندئذ لن تخرجي، يمكنك ان تهزي رأسك قدر ما تشائين ولكنك في داخلك تعرفين انني انا الذي افعل ما اريد ولست انت. أنا سيد البيت.

ازداد غضبها ولكنها رغبت الصمت، فهي لا ترغب في تعكير صفو هذه الساعة، على التلة اطفال يلعبون ويضحكون، يجمعون الزهور البرية ويتصايحون وتذكرت اشغالها الصوفية، فأخرجت القطعة التي تحيكها وبدأت تعد الادوار.

- لو سمعك والدي، وانت من آل لينغارد، تخاطبني بهذه اللهجة سيصر على ان اتركك.

- هذه الخصومة بين العائلتين! الا تعتقدين ان الوقت قد حان لننساها؟ انا نسيتها.

- من المؤسف انك لم تكن تؤمن بذلك قبل ثلاثة اشهر. كنا كلانا بوضع افضل.

- اوافقك الرأي، ولكننا لا نستطيع الآن ان نفعل اي شيء، علينا ان نعتاد الوضع الجديد.

سألته وقد بانت خيبة املها:

- لن تستطيع البقاء مساء الغد للعشاء؟

قال بلهجة قاطعة:

- لدي مشاريع اخرى.

كان يراقب ردة فعلها ويتفحص وجهها كأنه يفتش عن شيء...

هزت رأسها قليلاً. ما الذي يفتش عنه زوجها، ستعرف يوماً ما. بدأت تحيك الصوف وشعرت بنظرة رالف الضاحكة وحبست انفاسها. كان شكله جذاباً.

- اذا مر بنا غريب، سيقول اننا زوجان سعيدان. كم المظاهر غشاشة! لقد حاولت ان تفهميني انك لا تحبين انجاب الاطفال.

- هذا ليس لي. انا لست متلهفة لانجاب الاطفال، هذا الثوب الصغير هو لصديقتي فاليري، التقيتك يوم زفافها.

قال مسروراً:

- كم تدهشينني دائماً يا ساره!

- لماذا؟ اعتقدت انك تفهمني جيداً بعد هذه العشرة.

- انا اتعلم القليل عما ارى. لم اكن اصدق انك تتعبين نفسك في الحياكة اليدوية من اجلها. على العكس كنت اظن انك ستذهبين لأكبر المخازن وتشترين لها اغلى الهدايا لها. اي انك تتبنين اسهل الطرق.

- افعل ذلك مع بعض الصديقات ولكن ليس مع صديقتي المخلصة فاليري، انها عاطفية ورومانسية وجميع ملابس طفلها مصنوعة باليد.

- وانت؟ هل ستحيكين لأطفالك؟

راقب الاحمرار يعلو وجنتيها.

- ليس هناك الآن اي امكانية لانجاب الاطفال لذا لا استطيع ان ابحث هذا الأمر.

- انت على حق، لا لزوم لهذا السؤال.

غير رالف الموضوع واشار الى العشاء غداً وسألها اذا كانت ترغب في الطبخ بنفسها للضيوف ام ستترك الأمر لمرتا وجورج. قال:

- لا استطيع ان اراك توسخين يديك باعمال المنزل.

- ربما اقوم بتنسيق الزهور. قالت بلطف. وربما ارتب الطاولة للعشاء.

بقي رالف للعشاء، وذهب باكراً بعد الظهر واحضر أديل معه، احتارت ساره بامرها، ماذا سيظن المدعوون بهذا الوضع الشاذ. لم تزعجها ردة فعل دنكان ولا شقيقته ولكن مانولي كان مرتاباً ومزدرياً لفكرة دعوة صديقة رالف للعشاء معهم، كانت ساره واثقة من ان احداً لن يحزر من تكون أديل بالنسبة الى رالف، وان قلقها بدون اساس.

كانت أديل جميلة للغاية في فستان قطني ابيض بدون اكمام وقبته عالية، شعرها الأسود يلمع كالحرير فوق كتفيها. دخلت وسلمت على ساره ثم مشت مع رالف الى الحديقة وجلسا في زاوية منعزلة تحت ظل الاشجار ولم ترهما ساره الا وقت الشاي.

تناول الثلاثة الشاي حول طاولة صغيرة في ظل العريشة وكانت ساره تحاول ان لا تبقى خارج الحديث بينهما او تبدو كأنها دخيلة عليهما، تتحدث وتثرثر وتحاول جاهدة ان تبدو طبيعية ورالف يبدي كل اهتمامه بأديل. صمتت ساره في النهاية وبدأ الغضب يملأ كيانها.

كانت أديل لبقة ومهذبة في معاملتها لحبيبها، تصرفاتها طبيعية لا اصطناع فيها وحاولت ساره ان تفتش عن اسباب غضبها عبثاً.

تصرفت اديل في البداية بكياسة مع ساره، وبعد قليل اصبحت باردة لدرجة الوقاحة ووجدت ساره نفسها مهملة لأن اديل كانت تتمتع بكل اهتمام رالف الذي بدا كأنه يحبها. وكان رالف راضياً عن معاملة اديل لزوجته مما زاد في غضب ساره التي شعرت بأنه عليها ان تجد الفرصة الملائمة لتتركهما بدون ان يبدو كأنهما جعلاها تترك، استأذنت ساره، بعد قليل، ودخلت البيت. يوماً ما، ستنفرد بأديل وستريها من تكون! كانت ساره تتوعدها وهي تفور وتغلي من شدة غضبها.

وصل دنكان وشقيقته وصهره باكراً. نظرت هايلي الى اديل وصرخت مدهوشة ومسرورة. انهما صديقتان حميمتان من قبل ان تتزوج هايلي، كانتا تعملان سوية في مكتب للشحن في اثينا. التقت

هايلي بمانولي هناك وبعد اشهر قليلة تزوجا ورحلت هايلي لتسكن مع زوجها في بيريه، تراسلت الصديقتان لفترة وجيزة بعد زواج هايلي ثم انقطعت الاخبار بينهما.

- اوه. هذا مدهش! صرخت هايلي فرحة وهي تعانق اديل. مانولي عزيزي هل تذكر صديقتي اديل؟

ثم عرفتها ايضا بشقيقها دنكان الذي امسك بيدها وشد عليها لفترة طويلة. تبسم مانولي لأديل وانحنى لها بأدب وهو يقول انه سعيد بلقائها مرة ثانية وتابعت هايلي:

- تصوري ان القاك هنا! لم تستطع هايلي ان تكتم سرورها للقاء صديقتها الحميمة. ساره لماذا لم تذكري لنا اديل من قبل؟ قلت انك لم تعثري على صديقة بعد!

- انها ليست صديقتي، اديل ابعد ما تكون عن صديقتي.

كانت ساره غير مسرورة لهذا اللقاء بين الصديقتين. يبدو ان اديل ستكون محط اهتمام الجميع هذه الليلة بمن فيهم رالف. عضت ساره على شفتيها وهي تتذكر حالها في السابق، حين كانت هي موضع اهتمام الجميع في اية حفلة، قبل حضورها الى اليونان، كانت تتمتع بشعبية كبيرة والكل يرغب بصداقتها او وجودها في الحفلات والسهرات. التقت عيناها رالف وقرأت رضاه عن الوضع، فأحست ان غضبها يتضاعف. هل هي نادمة؟ ليس تماماً، كراهيتها لأديل لا وجود لها لكن لماذا تشعر نحوها بالعداوة؟ عداوتها لأديل تعود فقط لأن الفتاة التي تكبرها هي صديقة رالف زوجها، ولا يحق لها ان تعادي هذه الصداقة بينهما. كانت الصداقة تجمعهما قبل ان تلتقي هي رالف وهي صداقة متينة مبنية على الحب بينما علاقتها بزوجها رالف مبنية على الكراهية وقلة الاحترام والازدراء. لقد عرض رالف عليها الزواج لينقذ والدها من الموت او ربما ليطيل عمره وهي تضحية قام بها رالف، اثقل نفسه بهذا الزواج وتخلى عن حريته... ولكنه المسؤول عما حدث، لو لم يتدخل في حياتها لما حدث ما حدث.

انحسر غضبها تدريجياً، تأملاتها اليومية تؤثر فيها وتجعلها اكثر تهذيباً وليناً، هل بدأت بالفعل تلين؟ لا. لا يمكن، ليس هي؟ وبالتأكيد هناك بعض التغيير في طباعها...

احست ساره بعيني دنكان تحدقان بها ثم حول نظره لناحية رالف. لقد تفاجأ، كان ينتظر زوجاً ضعيف الشخصية لا يستطيع ان يتحكم بتصرفات زوجته ابتسمت له ساره. ثم التقت نظراتها بنظرات رالف، كان ايضاً يبتسم. ضحكا سوياً لقد تفاهما لأول مرة، قال رالف هامساً:

- هل حاولت ان تخدعيه عن قصد... وتقولي له انني اشبه رودي؟ هزت ساره رأسها نفياً: انا لست مقتنعاً. ربما سأقاصصك وامنعك من العبث معه من جديد.

اجابته باسمة:

- عندئذ ساعترض انا على غرامياتك.

- اعترضي على كيفك، اذا كان ذلك يسعدك. قال ضاحكاً حسناً يا ساره. لو لم اكن اعرفك جيداً لقلت اني اشتم بعض الغيرة من كلماتك.

الغيرة! كانت تفكر ساره بأن ترد له كيده ولكن اديل ارادت ان تحول انتباه رالف اليها ورمت ساره بنظرة توبيخية كأنها تقول لها ان رالف ملكي لوحدي.

حول مائدة الطعام انهمك رالف بالحديث مع مانولي. كانا يعرفان بعضهما بالشكل وهما متشابهان في الميول والعمل. يعمل مانولي في تصنيع الزيتون وبساتينه لا تبعد عن بساتين رالف في سهل ماسينيا حيث ينمو الزيتون الاسود وبعض الثمار الاخرى.

كان العشاء ناجحاً. لم تشك هايلي ولا زوجها مانولي في العلاقة التي تربط رالف مع اديل وكان دنكان يراقب الجميع طوال السهرة متعجبا. لاحظت ساره عليه العبوس عدة مرات. ربما كان رالف يتصرف مع اديل بحذر شديد، وهايلي لا تصدق ابداً ان صديقتها

اديل تعيش مغامرة غير شرعية. بعد رحيل دنكان وصهره وشقيقته ركز رالف اهتمامه على اديل، قررت ساره ان تذهب لغرفتها، فتمنت لهما ليلة سعيدة واستأذنت. كانت ساره قد وصلت الى الباب حين سمعت اديل تطلب من رالف ان يحضر لها حقيبتها من السيارة. نظرت ساره اليهما وهي لا تصدق ما سمعت، وجدت صعوبة في الكلام. سألت:

- اديل ستنام الليلة هنا؟

قال رالف بوضوح:

- طبعاً. الوقت متأخر كي اوصلها لمنزلها.

- لكن. . .

لم تستطع ساره ان تكمل كلامها. كانت تفهم العلاقة التي تربطهما، واحست بانها الغريبة بينهما. هذه المغامرة تبدو غير حقيقية ولكنها لم تستطع ان تتخيل ما يجري حقيقة بينهما. بقاء اديل لتمضي الليلة هنا اعطى هذه العلاقة نوعاً من التأكيد على حقيقتها، ولماذا تهتم ان بقيت اديل؟ هل كانت تبقى في مناسبات سابقة؟ بلا شك.

- نعم يا ساره. ماذا كنت ستقولين؟

وضع رالف ذراعه حول خصر اديل كأنه ينتظر خروجها كي يتعانقا.

- لا. لا شيء. . . .

بقيت ضحكة اديل ترن في اذن ساره وهي تخرج من الغرفة وبقي صداها في اذنيها طوال الليل. لقد جافاها النوم وبقيت تتقلب فوق الفراش بدون ان يغمض لها جفن.

ماذا سيظن بها جورج او زوجته مرتا؟ هما يعرفان علاقة رالف بأديل. هل كانت اديل تنام هنا في المنزل من قبل؟ حاولت الاجابة عن هذه الاسئلة بدون جدوى، ما اغرب هذا الموقف. هي تنام في غرفتها وحدها وزوجها ينام مع اديل. . . تركت ساره غرفتها في الصباح ونزلت لتشرب قهوتها. لماذا تهتم؟ هل من المعقول انها تريد

رالف لنفسها، لا، لتأخذه اديل لا فرق لديها، لكن شعورها بالخزي والعار هو الذي يزعجها، موقف الزوجة المهانة. . . لن تحتمل اكثر، وستخبره بنفسها، لن يستطيع ان يذلها اكثر. كان رالف واديل يتناولان فطورهما حين دخلت ساره واخذت مكانها الى الطاولة.

- صباح الخير.

- صباح الخير يا ساره. قالت اديل بدون اي شعور بالخجل. هل اساعدك في تناول اي شيء؟

تجاهلتها ساره وهي تشعر بالمذلة تغمرها. لا بد وانهما يحرجان من وضعهما، كانا يضحكان ويثرثران ولم ينزعجا من دخولها. هما وقحان. . . دون ذرة لياقة! شعرت ساره بالمرض ولم تستطع تناول اي طعام، تركتهما لشأنهما ووقفت بسرعة بدون ان تترك لرالف مجالاً لأي سؤال، وهي في طريقها لغرفتها مرت بالغرفة الاضافية، كان بابها مفتوحاً، نظرت الى داخل الغرفة ورأت مرتا تبدل شراشف السرير. سألتها مستغربة:

- ماذا تفعلين هنا؟

- انا اغير شراشف السرير.

- وهل نامت الآنسة اديل هنا؟

قالت مرتا:

- نعم يا سيدتي.

سألت ساره مترددة:

- هل كانت الآنسة اديل تنام هنا من قبل؟

- لا يا سيدتي، لم يكن هناك زوجة، ذلك غير معقول ولا مقبول!

تنهدت ساره بارتياح. دخلت غرفتها واحضرت حقيبة يدها ونظاراتها الشمسية، ستخرج لتلتقي دنكان بعد نصف ساعة خارج المتحف، سترتب واياه كيفية تمضية النهار.

- مانولي وهايلي يستريحان اليوم. قال دنكان حين التقاها: نحن

وحدنا. هل لديك اي مانع؟

- لا. ابداً.

سارا الى السيارة. قررا ان يقوما بنزهة الى الشاطىء الغربي ويتعرفا الى المدن هناك. الطريق مزدحمة حيث موسم السياحة في اوجه. مرا بطريق جميلة عبر البولوبونيز. توقفا في القرى الصغيرة واحياناً تمشيا بدون سيارة في ظل الاشجار الخضراء الوارفة.

- انظر. الرجال يركبون الحمير والنساء يمشين وفوق رؤوسهم السلال الثقيلة. هذا المشهد يجعلني اثور. لماذا تتحمل النساء هذه الحياة القاسية؟

- هذه طريقتهم في الحياة. لا اظن ان النسوة يمانعن.

- لكن الرجال هم الاقوى بين الجنسين، لماذا لا يحملون عنهم هذا العبء؟

- لا الومهم اذا استطاعوا ان يتهربوا من هذا العمل الشاق. سأل دنكان وهو يمشي قربها. هل نتوقف لنشرب شيئاً منعشاً؟

- لا بأس شرط ان يكون خفيفاً ومنعشاً وليس كالسابق الذي يحتاج للطعام. ذاك الشراب لن اذوقه مرة ثانية.

جلسا تحت ظل شجرة وارفة يشربان القهوة ويراقبان المارة. هناك الحمير والمعز ثم العربات المليئة بالفاكهة والقش او حتى بعض العصي. طرقات القرية غير معبدة وهناك ثور اسود مربوط على شجرة قريبة. الدجاج يسرح في الطرقات يفتش عن طعامه، بطتان اقتربتا منها ثم غيرتا رأيها وانضمتا الى مجموعة الدجاج. امرأة عجوز تجلس على عتبة بيتها وفي يدها هاون نحاسي تدق فيه. نظرت ساره اليها ترثي لحالها ثم رفعت رأسها عالياً كما فعلت في آثار سانت هيلدا في منطقة وثبي حيث كانت تحدث صديقتها فاليري قائلة: انها تفضل الموت على ان تقبل ان تكون سجينة لرجل. . . كتلك المرأة.

- ما هذه الحياة. لماذا تعيش هذه المرأة؟ زوجها يشرب ويأكل في البيت مع اصدقائه. جميع رجال اليونان لا يعملون، بل يمضون

النهار في الراحة والاستجمام.

قال دنكان مسروراً:

- لماذا انت مهتمة جداً بوضعهم الاجتماعي، انا اراهنك انهن قانعات بحياتهن.

- لأنهن لا يعرفن سوى هذه الحياة!

- وضعهن يشابه ما كانت عليه المرأة في انكلترا في فترة زمنية سابقة.

- المرأة لا تتعلم. لماذا تترك نفسها ترتبط بالأرض كثيراً، حتى لو ولدت يونانية لن اقبل هذا الوضع وسيعلم زوجي انني استطيع ان احكم نفسي!

سألها بفضول:

- وهل ترين زوجك الآن انك تستطيعين ان تحكمي نفسك؟ لا اعتقد ذلك يا ساره. فوجئت حين تعرفت اليه، لماذا يتركك على هواك؟ الا يحبك ابداً؟

- ماذا تقصد؟

- من الواضح انه ليس متيماً بحبك والا لما كنت برفقتي اليوم.

التفتت ساره الى المرأة العجوز. تابع دنكان حديثه: هل تحبينه يا ساره؟

- هذا سؤال شخصي قلت لك انه يصعب علي شرح هذا الموضوع.

- زواجك ليس طبيعياً. هذا واضح.

- نعم يا دنكان. انه ليس زواجاً طبيعياً.

- هل هي اديل. . . ما دورها؟ لقد اخبرتني ان لك اصدقاء ولزوجك صديقات. وعلى هذا الاساس افترض ان اديل هي صديقة زوجك. هناك نتيجة واحدة نستخلصها عندما تتعلق امرأة متزوجة برجل متزوج.

فوجئت ساره بما قاله دنكان. حدقت اليه بدون كلام ثم سألته

متلهفة لاخباره:

- اديل متزوجة؟ كيف عرفت؟

- اخبرتني شقيقتي هايلي، لقد تزوجت اديل وهي صغيرة جداً. هي الآن منفصلة عن زوجها منذ اكثر من سنة.

لهذا السبب لم يتزوجا! رالف لم يتزوجها لأنها متزوجة وليس لأنه لا يؤمن بمؤسسة الزواج. تنهدت ساره من الانباء الجديدة، كانت تفكر ان رالف سيضجر يوماً ما من اديل ويهجرها، لأن حبه لها ليس حباً قوياً يجعله يتزوج منها. الآن اختلف الوضع، رالف لن يضجر ابداً من اديل، حبه لها عميقاً. انها بدأت ترى لماذا لم يمانع في الزواج منها والتخلي عن حريته. حريته لا تعني له اي شيء ففتاته مرتبطة بزواج ولن يستطيع ان يتزوج بها ابداً، خيبة املها كبيرة. ولكنها لا تحب رالف الذي يحاول اخضاعها وترويضها، هي لا تحبه ولن تحبه ابداً وهو ايضاً لن يحبها بل يكرهها ويمقتها ويشعر نحوها بالازدراء. لماذا فكرت انه يوماً ما سيهجر اديل وينسى حبه لها ويعود بعواطفه لزوجته؟ لا. لا تريده ان يفعل، لماذا تتعب نفسها بهذا التفكير العقيم.

حين وصلا في المساء، دعت ساره دنكان لتناول بعض الشراب عندها في المنزل، قدم جورج الشراب لها وهو ينظر بطرف خفي الى دنكان.

- جورج لا يوافق. قال دنكان وهو يمسك كأسه: يعتقد انه يحق لسيد البيت ان يعيش مغامرة مع الجنس الآخر ولا يحق لسيدة البيت ذلك.

قالت بكبرياء:

- لا اعلم لماذا تعتقد ان رالف يعيش مغامرة مع اديل.

سألها:

- هل انجرحت كبرياؤك؟ انت تعرفين يا ساره ما الذي يدور بينهما؟ لقد قلت انكما متزوجان منذ ثلاثة اشهر. هل كان يعرفها قبل

زواجكما؟

هزت ساره رأسها ايجاباً. لقد غمرها شعور بالخزي. لماذا تزوجت رالف وهي تعرف بعلاقته بأديل؟ هل كانت تتمنى في قرارة نفسها لو انها كانت المرأة الوحيدة في حياته؟ لا. الم يقل لها اليكس ان رالف له علاقات عديدة؟ ما هذه السخافة. الم تتفق معه على ان لها طريقها وله طريقه. الم تكن دائماً راغبة في زوج لا يحاسبها على اعمالها وتصرفاتها. هي المسؤولة عن حياتها. الم تصرح انها لن تلبي رغبات زوجها بل هو الذي سيلبي رغباتها وقالت:

- نعم كان رالف يعرفها قبل ان التقيه.

- ولماذا رضيت الزواج منه؟

- لا يمكنني ان اجيب على هذا السؤال.

- هل تكملين حياتك على هذا النمط؟ انك رقيقة وحساسة ومن الخطأ ان لا تكوني سعيدة في حياتك.

رقيقة وحساسة... لا يمكن لرالف ان يصفها هكذا بل هي قاسية وثورية. هي محاربة من آل مالفرن، محاربة تستطيع الصمود والتحدي، ولكن لم تصمد مع رالف، صراعاتها معه دائماً كانت خاسرة.

- ولكنني لست تعيسة.

سألها:

- لماذا وافقت على الخروج معي؟

- انه ليس عبثاً!

ضحك كثيراً. ثم هز كتفه:

- سمه ما شئت. انه تسلية تخرجك من حياة الملل والضجر.

- انت ماكر وداهية.

- لا يحتاج الانسان للذكاء ليحزر. مشى من كرسيه وجلس في مكان قربها فوق الاريكة: الا يمكننا ان نتابع مداعبتنا؟ تمتم وهو يلفها بذراعيه: لماذا نقف عند حدود العناق؟

سألته:

- قل لي ما الذي نستفيد منه لو تمادينا في تسليتنا؟

- لا نخسر شيئاً. ونعيش الوقت.

- الرجال يحيروني. تسليتنا مؤقتة. ستتحول الى ذكرى. ذكرى اليمة.

- انت لا تحبين المبالغة. كيف تعرفين انها لن تكون ذكرى محببة؟

ضحكت بالرغم من تفكيرها الجدي. الرجال لغز. هذه التسلية البريئة في نظرهم، هي احساس بالذنب في نظرها، الرجال لا يعرفون هذا الشعور بالذنب بل يؤمنون ان الوقت يجب ان يعاش. وتمر التجربة وينسى الرجل الموضوع برمته. قالت تخاطبه:

- ما زلت لا ارى اي فائدة من ذلك؟

- الفائدة لا تتماشى مع العقل، بالطبع لا. من يرغب بالعقل في ساعة كهذه! ضحك. شعرت بيده تنزلق من كتفها الى ذراعها: انت امرأة غامضة يا ساره. انت حرة وتؤمنين بالحياة العصرية ومع ذلك تعيشين بطريقة رجعية، زوجك غريب الاطوار وبدون عقل لانه لم يكتشف حسناتك، انه جذاب ووسيم... الا تشعرين برغبة اليه؟ الا تغارين من ادبل؟

انه لا يهمني، قالت في نفسها، ولكنها شعرت بانقباض. وضعت كأسها قربها على الطاولة امسك دنكان بها بين ذراعيه، لم تدفعه ولم تقاومه، عانقها بشدة، تجاوبت معه ففرح دنكان لانتصاره واصبح جذلاً، قال مؤكداً قدرته على غوايتها:

- كنت اعرف انني سأنتصر عليك يا ساره. انت جميلة جداً.

سحبت نفسها من بين ذراعيه ووقفت تنظر اليه، لقد اختلف شعورها نحوه الآن اذ هي تشفق عليه. ضحك دنكان ثم جذبها اليه مرة ثانية قبل ان يودعها وقال:

- تصبحين على خير يا ساره. ما زلت اعتقد انك فتاة عظيمة وان زوجك رجل مجنون.

٧ - نهار قرب الحبيب

لم ترافق ساره دنكان الى الخارج، كانت لا تزال واقفة في منتصف الغرفة حين دخل زوجها. ما الخطب؟ ان مزاجه معكّر ولم تره على هذا الشكل من قبل. وجهه يرتسم فوقه الغضب والجنون.

- كيف تسمحين لهذا الرجل ان يعانقك؟ بحق الشيطان. كانت عيناه تقدحان شرراً وهو يسرع نحوها كالعاصفة، وهنا في مواجهة النافذة وتحت بصر كل الناس!

تراجعت ساره الى الوراء ولكنه امسك برسغها:

- اترك يدي!

بدأت تصارع ولكن قبضته احكمت الشد على يدها بوحشية، رفعت يدها الاخرى كأنها تريد ان تضربه ولكنه بسرعة امسكها واسقطها وقد ازداد غضبه.

- لماذا يهمك ما افعل؟ انا اتسلى، اليس هذا ما اتفقنا عليه...

نقلت بصرها الى النافذة المنفرجة حيث النسيم يدخل الغرفة عبر الستائر المفتوحة. الظلام يخيم خارج الغرفة:

- ليس هناك احد في الخارج ليرى.

قال متحدياً:

- انا سمعتكما ورأيتكما!

- ما الذي سمعته؟ لم نقل اي شيء نخجل منه!

- لانك لا تعرفين الخجل، اعتقد ان اقناعه لك لم يكن في الوقت المناسب لانك كنت تنتظرين عودتي الى المنزل في اي وقت.

ارتفعت يد ساره من جديد في محاولة صفعه. اصبح وجه رالف

ممتقعاً من الغضب. حدق بها بقساوة وزجر. لقد تمكن منه غضب آل لينغارد ووحشيتهم. امسك بذراعها وهزها بعصبية مرات عديدة حتى انقطع نفسه.

- اياك ان ترفعي يدك مرة ثانية في وجهي. هددها وهو لا يزال ممسكاً بذراعها: اياك ان تعيدي ما فعلت مع هذا الرجل مره ثانية. لن تريه بعد اليوم.

- ساراه!

كانت تتحداه وهي ترتجف من رأسها لاخمص قدميها وتذكرت يوم اخبرها انه لو كان مكان رودي فوق السفينة لقتلها بدون ان يفكر بالعواقب.

- هل خفت اخيراً؟ لقد انذرتك. ستنالين اكثر من ذلك في المرة المقبلة.

- انت لا تخيفني ابداً. انا لا اخاف من اي رجل، ولن يقول لي اي رجل ماذا افعل، انا افعل ما اريد، وسأرى دنكان متى ارغب.

- لا، ليس عندما اكون انا زوجك. لن تريه. هدأ صوته وقد امسك بزمام اعصابه: - هذه رغبتي. لن تريه مرة ثانية وستحترمين ارادتي.

افلتت ساره من قبضته. كانت صامتة لا تتكلم تحاول ان تتفحص العلامات التي تركتها اصابعه فوق رسغها، احد ابناء لينغارد يفعل بها ذلك! لو عرف والدها. ستكتب له وتخبره وسيصر عليها ان تتركه وتعود الى المنزل... بعيداً عن هذا البغيض المتشرد من سلالة العصابات....

حدقت به وقد خنقها غضبها والجمها عن الكلام. لقد ذكر رالف شيئين مهمين في حديثه، كان ينتظر ردة فعلها، اسلوبه في الانتظار يحيرها. ثم انه لأول مرة يذكرها بأنه زوجها، هذه اول مرة يستعمل فيها هذه الكلمة في حديثه معها، ولكنه لا يعني اي شيء. لماذا يذكر الزواج الآن؟ ولماذا اشتد غضبه عندما رآها بين ذراعي دنكان؟ لماذا

يكشف عن شعوره نحوها وقد اتفقا ان يسير كل منهما في طريقه؟ هل هناك علاقة بين غضبه وكونه زوجها؟

هدأ غضبها وسكنت نفسها بدون سبب تفهمه، سلام غريب دخل نفسها، لم تعد المحاربة ساره مالفرن بل انها سارة زوجة رالف لينغارد. كانت عيناها تشعان برقة وحنان وهي تنظر اليه، نسيت اديل ونسيت خلافاتها السابقة معه.

- رالف... اذا وعدتك بأن لا اراه ثانية...

- لا اريد انذارات منك ستبتعدين عنه لأنني آمرك بذلك.

هو يأمرها... بالرغم من شعورها الرقيق نحوه الا ان الغضب تملكها.

- انا لا افهم سبباً لغضبك قلت انني استطيع ان اصادق من اشاء... هل لأنك...

لم تستطع صياغة سؤالها. قاطعها بلهجة قاسية كالحديد:

- هل علي ان اذكرك بان تكوني متسترة بعلاقاتك؟ لم تتستري... سألته:

- هل هذا هو سبب غضبك؟

- نعم، ليس هناك اية اسباب اخرى.

هذا الاستبداد لا يمكنها ان تتحمله. خيبة املها في جوابه زاد من غضبها لفترة وجيزة اعتقدت انهما ربما يتفاهما، وشعرت انه يرغب في ان يسود التفاهم علاقتهما وهي بلا شك مجنونة في موافقتها على عدم رؤية دنكان فهو لن يرضى الا بخضوعها تماماً، كل آل لينغارد هكذا، كلهم من طينة واحدة، وهي مجنونة لتعتقد انها تستطيع ان تعيش معه بسلام.

- اذا كنت تسمح لنفسك ان تعيش مع اديل، كذلك انا استطيع ان اعيش مع دنكان فترة بقائه هنا! قالت ورأسها مرفوعة تتحداه بعينيها: تستطيع ان تفعل بي اكثر مما فعلت ولكنني سأعيش على هواي.

- ستدفعين الثمن غالياً، لقد انذرتك، لا تخالفي رغباتي، اما بشأن اديل فاتركيها خارج صراعاتنا.

ثم تركها وغادر. كان رالف واثقاً من نتيجة تهديداته، ولكنه كان ينتظر بعض محاولات التحدي من ساره. بقي رالف في المنزل في اليوم التالي، لبست ساره ثيابها استعداداً للخروج ونزلت الى الطابق الارضي، كان رالف بانتظارها ودارت بينهما معركة كلامية، هددها رالف باستعمال القوة اذا حاولت ان تتحرك خارج البيت فقالت له بانها ستخرج حين يخرج، ولكنه لم يخرج. جاء دنكان ليرى ما الذي حصل فاستقبله رالف على الباب وطرده بادب وحزم؛ وطلب منه ان لا يحضر الى هذا البيت مرة ثانية. كانت ساره بركاناً من الغضب، ولكنها تجنبت مواجهة رالف امام دنكان لانها تعرف انها ستكون الخاسرة وسيثبت رالف ارادته. لكنها لم ترغب في خسارة صداقة هايلي. تركت ساره دنكان يذهب بدون ترتيب موعد آخر بينهما، ولكن رالف دعا الجميع للعشاء قبل رحيل دنكان بيوم واحد وكان العشاء فاخراً ثم اوصل رالف اديل لمنزلها بعد العشاء هذه المرة ولم تبق لتنام في المنزل.

اثناء العشاء، حاول دنكان ان يهمس باذن ساره ليسالها ما الخطب.

- لقد رآنا وسمع حديثنا من النافذة.

- يا الهي. هل تشاجرتما؟

- بالطبع تشاجرنا.

قالت ذلك وارتجفت وهي تتذكر ما حدث.

- هل امرك بعدم رؤيتي؟

- نعم.

- عليك ان تشكريني لانني جعلته يغار عليك.

- لم تكن غيرته، لقد غضب لانني تركت النافذة مفتوحة.

- لا يا ساره. انها الغيرة. هل اخبرك بشيء، هايلي لا تؤمن بان

علاقة غير شريفة تربط اديل برالف.

- وهل قلت لها ان هناك علاقة تربط بينهما؟ كان عليك ان لا تخبرها بذلك.

- لم يكن لدي خيار، كانت تريد ان تعرف اسباب خروجك معي كل الوقت بدون اعتراض من زوجك. فقلت لها ان لك اصدقاءك وله صديقاته، ومن الواضح بعد دعوة العشاء عندكم ان اديل هي صديقة رالف فقفزت هايلي تريد ان تخنقني وهي تؤكد لي ان اديل ليست من هذا النوع من الفتيات.

توقف دنكان وهو يرى رالف يراقبهما ثم تابع بعد قليل:

- هناك بعض الغموض يلف هذه القضية. ولن تعرفي الحقيقة من هايلي، انها كتومة على الاسرار التي تؤتمن عليها، ولن تخبر هذا السر لاي شخص.

سألته بالحاح:

- الم تقل لك اي شيء آخر، فقط ان اديل متزوجة؟

- هايلي لم تخبرني اي شيء، وانت ايضاً كتومة لا تذكرين لي اسباب زواجك من رالف. ويلفني الفضول وخيبة الأمل في حل اللغز، رغم انني اعتقدت دائماً ان النساء ثرثارات...

تمتمت ساره:

- ربما تخبرني هايلي اسرار اديل في المستقبل.

- لا تحلمي. اختي كتومة وامينة على السر. وهي محافظة في علاقاتها.

اقترحت اديل سماع الموسيقى الراقصة. شرعت بابعاد الاثاث الى قرب الحائط تساعدها هايلي. دخل مانولي برفقة هايلي حلبة الرقص يتمايلان ببطء وحنان. قال دنكان يخاطب ساره ويشير الى شقيقته وصهره وهما يرقصان:

- غرامهما كالمرض.

كانت ساره تراقب رالف وتنتظره ان يطلبها للرقص.

- هل نرقص يا ساره؟

وبدون ان يسمع جوابها، امسك بيدها وجذبها نحوه. لاحظت ساره غمزة خفيفة من طرف عين دنكان، سلمت ساره نفسها لرالف وسمحت للموسيقى ان تحركها على انغامها الهادئة.

وصلت رسالة لساره من صديقتها فاليري. وصفت فيها مباهج الحياة الزوجية، وبيتها الجديد، وغرفة الطفل المنتظر، والادوات الصغيرة التي اشترتها. وشرحت لسارة لون ورق الجدران وجميع التفاصيل الصغيرة وذكرت سرير الطفل الذي باشر غراهام زوجها في صنعه بنفسه. قالت: لن نشتري لطفلنا سريراً من الاسواق.

كانت ساره مغتبطة لسرور فاليري وسعادتها في حياتها الزوجية. وكل ما شرحته فاليري لساره في رسالتها كان مملاً بالنسبة اليها. ساره لن ترضى ان تعيش هذه الحياة الرتيبة، رسالة فاليري الجديدة تشبه الرسائل السابقة التي ارسلتها. ولكن ساره قرأتها بنهم وهي تحس خسارة السعادة في حياتها الزوجية بالمقارنة مع فاليري. اعادت قراءة الرسالة وهي تتناول فطورها ثم تذكرت صديقتها هايلي. هي ايضاً سعيدة في حياتها الزوجية.

بعد سفر دنكان باسبوعين. عادت ساره الى روتين حياتها الممل الذي كانت تتبعه قبل تعرفها الى دنكان وهايلي. هايلي اصبحت صديقتها وكانت تزورها ساره مرتين في الاسبوع، تتمشى واياها وتتغدى بصحبتها في قهوة صغيرة في القرية. هذا التغيير البسيط في حياتها قد جلب بعض السرور والراحة لها. بدأت ساره تتغير كلياً. هل اليونان ومدينة اولمبيا هي سبب هذا التغيير؟ لم تكن تلذها العيشة البسيطة ولكنها الآن تجد متعة كبيرة وسعادة في الحياة البسيطة. وقد زاد سرورها وجود هايلي قربها بعد ان كادت تفقد الأمل في ايجاد صديقة. زوجها مانولي مهذب ومنطو وكثير التفكير، وكان لا يوافق كثيراً على تصرفات ساره. كأن خروجها مع دنكان شيء مقرف وغير طبيعي. انها متزوجة من يوناني وهذا لا يصح ابداً في مجتمعهم، فمن

غير اللائق ان تخرج مع غير زوجها هايلي كانت مغرمة به وخاضعة له كلياً. عبست ساره قليلاً، مانولي يسيطر على زوجته بشكل غير ملحوظ وهو حاذق ولا يظهر سيطرته عليها وهايلي خاضعة ومتفانية له وتعطيه بدون مقابل، هل هذا هو الزواج الصحيح؟ ان هايلي سعيدة سعادة حقيقية.

نظرت ساره الى رالف الذي حضر وجلس قبالتها واخرجها من تأملاتها.

- صباح الخير يا ساره. هل نمت جيداً؟

هزت رأسها موافقة وهي عابسة. لماذا يتكلم معها عن النوم؟ انه يسألها السؤال نفسه منذ اسابيع.

- هل تخبرني متى ستكون في البيت لانني اريد دعوة هايلي ومانولي الى العشاء.

- لا يهم، فقط اخبريني قبل يومين كي استطيع دعوة اديل ايضاً، اعملي كل الترتيبات لذلك.

- هل يجب عليك ان تدعو اديل؟

- نعم، الا تحبينها؟

- لا اكرهها. قالت وهي تنظر اليه بحزن: من غير المناسب ان تحضرها دائماً الى البيت، ماذا سيقول جورج ومرتا؟

- انا لا اهتم لرأيهما، اذن انت لا تكرهينها، يا للغرابة.

- قلت لك سابقاً انني لا اكرهها. في وقت من الأوقات رغبت في معركة معها ولكن...

سألها مستغرباً:

- حقاً؟ وماذا كنت تنتظرين ان تكون ردة فعلي؟

- اعتقد انك ستنضم الى جانبها. ولكنني رغبت في المعركة معها حين نكون منفردتين.

- ارجو ان لا تستعملي معها القوة الجسدية. اعتقد ان آل مالفرن تمدنوا قليلاً. خجلت ساره واحمرت وجنتاها، تمالكت اعصابها، انه

يستفزها في الكلام الجاف والنقد اللاذع لعائلتها، دائماً يحاول ان يجعلها تفقد رباطة جأشها.

- لا اعرف لماذا تستفزني دائماً. هل يسعدك ان افقد رباطة جأشي.

كان صوتها منخفضاً ولكن غضبها في اوجه ويشع شرراً من عينيها، وهي لا ترغب في معركة معه، ولكن رالف دائماً يخطط لمعركة معها ويحاول استفزازها، وتجد صعوبة في التغاضي عن استفزازه لها.

- هل يسعدني غضبك؟ ابداً، على العكس انني اجد ذلك مقرفاً، واعتبره ضعفاً حين تخسر المرأة رباطة جأشها..

- انت الملام الأول لما وصلنا اليه.

- بل انت الملومة. لسبب اجهله وقع شقيقي في حبك، وقد وافقت على الزواج منه ثم رفضته ودست على قلبه بدون شفقة او رحمة قبل موعد الزفاف باسبوعين. لم تهتمي لشعوره نحوك ولا الى قلبه الذي تحطم...

- هراء. لا يمكن لرجل ان يتألم اذا تحطم قلبه، لقد قلت لك ان لديه امرأة اخرى يحبها...

- دست عليه ورفضته لأنه يتمتع برجولة حقة.

- كان يريد امتلاكي وانا لا اتحمل ذلك من اي رجل، وخاصة من احد ابناء آل لينغارد!

ضحكت من جديد. عيناها الزرقاوان تلمعان في تحد وهي تنظر الى عيني زوجها.

- انا من آل لينغارد يا ساره. اذا رغبت في امتلاكك فلن يكون لديك الخيار. عليك عندئذ الخضوع.

ضحكت بصوت مرتفع. كانت تتمنى ان تنتهي العداوة بينهما الى الأبد.

- وهل تعتقد انني اخضع لك بدون ان احارب؟

- لا طبعاً. ليس بدون محاربة... ولكنك في النهاية ستخضعين. وعقلي السليم جعلني اقبل التحدي كي اروضك.

- انا لا اعرف لماذا استمع اليك ولماذا اجعل الحديث بيننا يسير في هذا الاتجاه. انا واثقة انك ترغب في اثارة غضبي واستفزازي.

- اتعتقدين ذلك؟ لا يا ساره، ليس هذا ما اريده.

- ماذا تريد اذن؟

- قلت لك سابقاً... اريدك ان تبكي... وما زلت اريد ذلك.

- اوه صحيح، تذكرت، قلت: احتاج لرجل عنده ارادة قوية ليجعلني ابكي.

- وقد تأكدت الآن انني رجل عنده ارادة قوية...

- صحيح! ولكنك لم تجعلني ابكي ولن تجعلني ابداً.

- سنرى، استطيع ان اجعلك تبكين متى اريد، الآن لو اردت.

قالت ساخرة:

- حقاً؟

- استعملي خيالك يا فتاة!

- حتى لو ضربتني وعذبتني، فلن ابكي.

- وتعتقدين انه من الممكن ان اعذبك؟

- سأحاربك. استطيع محاربتك.

- لم تقاومي حين دفعتك الى مؤخرة السيارة.

- لقد اخذتني على غفلة من امري.

- وحين اجبرتك على استعمال الهاتف في غرفة الهاتف، وحين حملتك الى ظهر الباخرة.

- لقد هددتني باغراقي في البحر. كان ذلك تهديداً جباناً من رجل الى امرأة...

شرع رالف يضحك منتصراً. شعرت ان الحديث اصبح هزلياً. كان يسخر وهو يذكرها بمواقف ضعفها المتكررة.

- الآن تعترفين ولأول مرة انك من الجنس اللطيف. الجنس الضعيف؟ كذلك تعترفين بانك خضعت لتهديداتي. تقدم نحوها ولدهشتها وضع يده برفقة فوق يدها وقال: من اجل خضوعك علي

ان اكافئك، سنعلن هدنة مؤقتة، اليوم سنخرج ونمضي النهار سوية.

- ولكن . . .

فكرت بالاعتراض او الرفض، ولكن قلبها قد طار من الفرح. تعابير وجه رالف كانت حنونه، ما الذي قاله واحدث في تعابيره كل هذه التغييرات؟ كانت ضحكته تحمل معنى الانتصار؟ هل هو فعلا يرغب في الترفيه عنها؟ سيمضي برفقتها يوماً كاملاً فسألته:

- انا . . . وانت؟

- نعم. واذا فتحت فمك للجدال او الاعتراض سأريك جانباً من طباعي السيئة.

كانت لهجته مازحة ورقيقة كلمسة يده فوق يدها.

- تستطيعين اختيار المكان الذي سنقصده. سألها رالف بعد نصف ساعة حين استقرا في السيارة: هل تفضلين الساحل ام الجبل؟

- احب ان ازور سبارطة. ربما يكون المشوار متعباً وبعيداً؟

- لا بأس. سنذهب الى سبارطة كما تشائين. المناظر خلابة ونستطيع ان نتوقف على الطريق لنرتاح.

المناظر بين طرابلس وسبارطة جديدة عليها تراها لأول مرة. ثم بدأت الطريق تضيق صعوداً الى التلة. اصبحت الطريق متعبة وملتوية كالحية. حين وصلا الى قمة الجبل قال رالف وهو يتابع صعوده في السيارة:

- بدأنا نصل الى مناظر اكثر وحشية.

الجبال وحشية وقممها عالية حادة، سبارطة مدينة مبنية في لحف جبل تاغيتوس العالي ويسقيها نهر يوروتاس الذي ينساب في الوادي المليء ببساتين الزيتون واشجار الليمون. نزلت السيارة بعد ذلك الى سفح الجبل حيث المدينة القديمة تعلن عن استقبال الرافدين في لوحة اعلامية تقول: اهلاً وسهلاً بكم في سبارطة. شعرت ساره بخيبة

امل بعد ان دخلت المدينة، منظر المحاربين الاشداء الاقوياء قد طواه الزمن، والمدينة القديمة التي تمتد على جانبي طريق قديم حيث كان يجري سباق العربات، مليئة بالفنادق الحديثة، والشوارع العريضة اخذت مكان معالم المدينة الاثرية ولم يبق منها الا القليل، حزنت لرؤية المدينة على هذا الشكل. وجد رالف مكاناً لسيارته واوقفها وفتش عن فندق ليتناولا طعام الغداء. قالت ساره وهي تنتظر طعامها:

- لم انتظر ان اراها على هذا النحو.

- وماذا كنت تنتظرين؟

كانت نظرته غريبة، تعجبت ساره من مزاجه الجديد. هل يتصرف على طبيعته ام يتصنع؟

- لا اعرف. ولكن لم اتخيلها هكذا.

سألها بفضول:

- وهل تعتقدين ان الرحلة كانت مضيعة للوقت؟

- لا. لقد تمتعت بكل دقيقة من الرحلة.

كان كلامها يضفي عليها جمالاً فقد بدت راضية جداً لأن رالف يهتم بها ويغيرها انتباهه واسئلته وحديثه:

- ولكنك كنت تعرفين انها على هذه الحال. لماذا لم تخبرني؟

- وهل كنت تفضلين عندئذ زيارة مكان آخر؟

- طبعاً. كنا انتقينا مكاناً اخر.

كانت ساره تود ان تجعل من هذا اليوم ذكرى لا تنسى معه،

- لا تحزني. لدي مفاجأة احتفظ لك بها. هل تحبين زيارة بعض الآثار؟

- اوه، نعم، اين سنذهب؟

اهتمامها كان جلياً. ابتسم رالف مسروراً لسرورها وقال:

- سنذهب الى ميسترا فهي تبعد اربعة اميال فقط، مدينة مهجورة لا يعيش فيها احد.

- مدينة مهجورة؟ عظيم.

بدأ يشرح لها عن مدينة مسترا القديمة وعن تاريخها وموقعها الحصين فوق قمة جبل تاغيتوس. تجولا نصف ساعة في سبارطة بعد الغداء ثم ركبا السيارة واكملا سيرهما على مهل فوق طريق رملية وسط ظلال الاشجار الى مدينة ميسترا القديمة. رأت بعض النساء يغزلن وهن راكبات ظهور الحمير. قالت ساره وقد سحرها عملهن الدؤوب وطريقة غزلهن فوق ظهور الحمير:

- انهن لا يضيعن الوقت.

- المرأة اليونانية تعمل بنشاط واجتهاد. قال رالف ثم اضاف ضاحكاً: هي محكومة من زوجها.

لم تحرك فيها جملته الاخيرة اي ساكن على عكس ما كان ينتظر، قالت ان العلم سيدخل اليونان وسيتساوى الجنسان قريباً.

- لا اعتقد ذلك لأن الاجانب الذين يعيشون في اليونان فضلوا ان يغيروا طريقة حياتهم لتصبح كحياة الفلاح اليوناني.

- ماذا تعني بذلك؟

- اذا كان الزوج الاميركي يساعد زوجته في اعمال المنزل كالغسيل وخلافه، فان سكان اليونان يرفضون عشرته ويشعرونه بعدم رضاهم عن تصرفاته ويعيرونه برجولته. فاذا كان يملك بعضاً من الذكاء، كان يقتبس طريقتهم وعاداتهم فوراً.

قالت متعجبة:

- انا لا اصدقك!

- ولكنها الحقيقة. مال بالسيارة ليتفادى عنزة ضلت طريقها: آسف لازعاجك. كان دافئاً في كلامه واهتمامه بها.

- لا ، انا بخير.

سرحت بنظرها عبر المناظر الخلابة التي كانت تمر بها. كان اليوم شديد الحرارة ولكن الطريق مليئة باشجار الاكوالبتوس. اوقف رالف السيارة بعد قليل وفتح الباب وخرج قائلاً:

- هل ترغبين في القاء نظرة. المناظر خلابة هنا.

تبعته ساره صامتة. وقفا جنباً الى جنب يتفحصان الوادي المزروع باشجار الليمون والزيتون وعرائش العنب التي يسقيها نهر يوروتاس الذي يتغذى بمياه الثلوج الذائبة من جبل تاغيتوس. عادا الى السيارة وتابعا طريقهما الى المدينة المهجورة، انها مركز للحضارة البيزنطية. مبنية على كتف الجبل وابنيتها القديمة متصدعة ومتداعية، تغطي شوارعها الاعشاب والازهار البرية ذات الروائح الغريبة والألوان المتعددة بدا منظرها غير واقعي، فالحشرات المختلفة تدب في النوافذ المفتوحة والاشجار قد تطاولت وظهرت من وسط البيوت الخالية من السقوف. قالت ساره:

- شكلها مدهش. هل يمكنك تخيلها في عزها.

- اعتقد ان ذلك صعب. ان المدينة حزينة. لا احد يعيش فيها.

- لماذا؟ الا يحضرها السواح؟ ارى بعض المشاة ولكنني كنت انتظر جماهير غفيرة تؤم المدينة لتتفرج على الاثار.

- يحضرون الى هنا ولكن ليس مثل الحضور الى اولمبيا.

امسك رالف بذراعها فأحست بالدفء يسري في جسمها يرافقه شعور بالراحة والسلام. انها تستمتع بهذه الرحلة ضمن الآثار على عكس طبيعتها السابقة حين كانت لا تجد الراحة والسرور الا بالحياة الصاخبة والحفلات التي تمتد الى ما بعد منتصف الليل. سألها:

- هل نذهب لزيارة اماكن اخرى؟

أمضيا بعد الظهر يتجولان بين الاثار والمباني الضخمة المتداعية. كل الاماكن مهجورة تماماً الا من بعض المتفرجين. كانا احياناً يبقيان منفردين وحدهما لا يرافقهما الا السحليات التي تزحف وسط العشب الاخضر. معظم الابنية خربة ولكن بعضها محفوظة نوعاً ما. هناك دير برفيلبتوس منحوت في داخل الصخور واشعة الشمس تنعكس على زجاجه الملون كقوس قزح.

- كيف تحفظ هذه الابنية...

سألت ساره متعجبة، وحاولت ان تتخيلها ايام عزها والناس تفدها ابان عظمة المدينة زمن البيزنطيين.

- شكل البناء يجعل الانسان يشعر بصغره وعدم اهميته، اليس كذلك؟

- نعم هو كذلك اشعر انني صغيرة جداً وتافهة.

سر رالف بجوابها وشد على ذراعها بعفوية.

وبدأت تجوالها برفقة رالف. دخلوا حجرات حيث الجدران مطلية باللون الابيض والاشغال اليدوية تكسو الكراسي والاسرة. تأملوا الزيتيات الزجاجية والوانها المتناسقة والتي كانت تعتبر غير مألوفة في القرون الوسطى، اطلوا من الشرفة الى الوادي وتأملوا المناظر البديعة وهم يرشفون قهوتهم.

- هل نعود؟

سألها رالف، هزت ساره رأسها موافقة، كانت تفضل ان تبقى تتأمل، فقد اثر فيها هذا المكان كثيراً، الهدوء والسلام سكنا روعها وشعرت انها اقتربت من رالف بقوة سحرية عجيبة، وحتى ولو تشاجرت معه في المستقبل فستذكر انسجامها في هذا المكان لآخر العمر.

نزلا من البناء ببطء ثم مرا داخل المدينة ذات الالفي بيت وجميعها مهجورة تسكنها الاعشاب البرية، مدينة تقفز فيها الاشباح من فوق الصخور المرصوفة الى الساحة العامة.

وصلا الى مدينة ميسترا الحديثة. توقف رالف ونزل مع ساره الى المدينة يتجولان في شوارعها قبل العودة الى سبارطة. دعاها للعشاء في سبارطة، جلسا في مكان هادىء وشربا شراب الليمون المثلج وهما يراقبان صخب المدينة حولهما. سألها رالف:

- هل سررت؟

- كان يوماً ممتعاً. شكرا يا رالف. ابتسمت ابتسامة ساحرة: انني مسرورة لاختياري مدينة سبارطة.

- كنت واثقاً بان املك سيخيب فيها. الجميع يسرون في زيارة ميسترا.

- انا اوافقك الرأي. كانت رحلة ممتعة. واتمنى ان نحضر الى هنا مرة ثانية في يوم ما.

- سنعود يا ساره. وعدها رالف. وقفا ليغادرا المكان. امسك بيدها وقال:

- كانت الهدنة بيننا موفقة. علينا ان ندعو الى هدنة ثانية في القريب العاجل.

٨ - لن يحبني ابداً

كان رالف يجلس مع ساره في الحديقة في ظل العريشة، ساره تحمل دفتراً وقلماً بينما جلس رالف مرتاحاً في كرسيه قربها.

- هل يجب علي ان ادعو خمسة اشخاص للعشاء؟

قالت ساره بخبث وهي تحاول ان تفهمه قصدها، رفع رالف حاجبيه مستغرباً.

- نعم، نحن خمسة أليس كذلك؟
- وهل يجب عليك ان تدعو اديل؟
- ظننتك تحبينها!
- قلت انا لا اكرهها. ومع ذلك ليس من الضروري ان تحضر الى هنا.
- هي تحضر الى هنا لأنني انا اريدها ان تحضر.
- ماذا سيعتقد الناس؟

كانت تنتظر منه بعض التغير في معاملتها بعد ان امضيا يوماً في ميسترا، لكنه عاد لسابق عهده في معاملتها بدون اكتراث.

- الناس؟
- نعم، هايلي ومانولي، ربما يعتقدان انك تعيش مغامرة عاطفية مع اديل.
- ماذا تقصدين؟ اعتقد ان هايلي ومانولي يتمتعان ببعض الذكاء.

صمتت ساره ثم اخذت نفساً عميقاً وقالت:

- هل تحبها؟

حدق فيها ملياً واجاب:

- اعتقد ان لديك ذكاء وافياً ايضاً ثم اكمل حديثه بسرعة: انا لا احب ان نبحث امرها على هذا الشكل، لا اليوم ولا بعد اليوم.
- لا انا افهمك، لقد امضينا يوماً ممتعاً.
- نعم كان ممتعاً جداً، انا لا افهمك يا ساره. ارجو ان لا تعلقي الآمال الكبيرة على يوم واحد امضيناه سوية؟ كما قلت لك كان اليوم ممتعاً للغاية وعلينا ان نكرره مرة ثانية ولكن لا تعلقي عليه الآمال الكبيرة.

نظرت ساره الى دفترها من جديد ثم لاذت بالصمت، لقد اهانها بكلماته ولا يمكنها ان تتابع الحديث معه. سرحت بافكارها، ما الذي يفعله هذا الرجل معها؟ لقد اذاقها طعم السرور قليلاً وعاد ليمنعها من اي متعة. عاد الى معاملته الباردة تجاهها بعد عودتهما من الرحلة. كان يتثاءب من وقت لآخر كانه قد ضجر من رفقتها. ماذا تنتظر منه؟ او بالاحرى ماذا تريد منه؟ بدأت ساره تكتب لائحة الطعام لعشاء الغد، وركزت تفكيرها على هذه المهمة. ولكن بدون ارادتها عادت بافكارها الى زوجها والى اليوم الهائل الذي امضته برفقته، تذكرت الهدوء والسلام والسرور الذي غمرها وتذكرت شعورها بالوفاق في علاقتها مع زوجها. ربما هي احلامها التي جعلتها تتخيل اشياء لا وجود لها ومن المؤكد ان رالف لم يتأثر بالمكان مثلها، فمنذ الصباح التالي عاد يتناحر معها من جديد ويتجادل واياها بعداوة وبغض وكراهية.

نظرت اليه قربها. كان مغلق العينين. لاحظت انفاسه الهادئة وصدره الاسمر القوي.

كأن نظراتها احرقته ففتح عينيه. بدأ دمها يغلي غضباً، كم هو متكبر ومتعجرف، انكسر القلم بين اصابعها، حرك عينيه بينها وبين القلم المكسور ولكنه لم يعلق بأي شيء. احست ساره انه فهم شعورها نحوه، قالت وهي ترتجف:

- لا اظنني سأدعوهم. طوت دفترها ووضعته جانباً: ساعتذر لهم

بأي عذر!

- لماذا؟ لأنني اصر على دعوة اديل؟ جلس في كرسيه وانحنى لجانبها وتابع حديثه: - افهمي. كلما نسيت هذه السخافة حول اديل يكون ذلك افضل لك، لآخر مرة اقول لك انني اعيش حياتي كما احب وكما عشتها قبل الزواج، لن تقول لي اية امرأة ماذا سأفعل، انا قدمت لك خدمة حين تزوجتك...

- اية خدمة؟ لقد تزوجتني لتهرب من تأنيب ضميرك.

- تقريباً. ومع ذلك قدمت لك خدمة، حياتي ستبقى على وضعها السابق، ولن اقبل منك اي تدخل. اما من اجل نوبات الغضب عندك، لقد ضاق صدري بها، انتبهي، سوف افعل شيئاً لأتخلص من نوبات غضبك تلك. انت سليطة اللسان يا ساره، وكلما اعترفت بهذه الحقيقة كلما بدأت في محاولة لتحسين طباعك.

قررت ساره ان تتغاضى عن هذه الكلمات القاسية.

- مهما كانت اسباب زواجنا، فأنا اليوم زوجتك، لماذا تنسى هذه الحقيقة.

لم تعرف ساره لماذا قالت له ذلك مع انها ليست زوجته بالحقيقة ولا هي تهمه.

- دعينا لا ندخل بهذا الجدل من جديد، هل تحاولين ان ترمي بنفسك علي...

- انا ارمي بنفسي عليك؟ انا اكرهك.

ملأت دموع الغضب مآقيها. حاولت جاهدة ان تخفي غضبها ودموعها. كان مسروراً لأنه اثار غضبها واخرجها عن طبيعتها وحرك عصبيتها، وقامت بعمل جبار في اخفاء دموعها عنه وارتاحت لانتصارها على نفسها في كظم غيظها. نظر اليها رالف مرتاحاً واغلق عينيه وتجاهلها من جديد.

بقي رالف يتجاهلها عدة اسابيع اخرى ثم عاد من جديد واعلن هدنة مؤقتة ثانية حيث قاما بزيارة عدة قرى جبلية فوق الشاطىء.

خلال هذه الاسابيع توطدت الصداقة بينها وبين هايلي واصبحت معتادة ان تزورها صباحاً مرتين في الاسبوع. تتمشى معها او تزور المتحف برفقتها. كانت ساره تحاول من وقت لآخر فتح موضوع اديل معها، ولكنها اكتشفت ان دنكان كان على حق حين اكد لها ان هايلي لا تحب الثرثرة وتحافظ على السر. ساره نفسها كانت لا تؤمن بأي علاقة تربط زوجها بأديل وايمانها ليس مبنياً على سبب معين لكن ما الذي يهمها اذا كان هناك فعلاً علاقة بينهما؟ ذكرت هايلي مرة امامها ان دنكان يرغب في الكتابة لها، قالت هايلي لساره:

- لقد طلبت من دنكان ان لا يكتب لك، دنكان شاب عابث ولا اعرف متى سيعقل ويستقر، انا شخصياً لن اوافق على زوج من طرازه.

ولا انا، فكرت ساره. تذكرت خطيبها اليكس وكذلك رودي. تعجبت من نفسها، ما الذي اعجبها في كل منهما. رودي سهل القيادة وهو يمثل بالنسبة اليها ما تريده من زوج المستقبل. الحياة برفقته بسيطة وغيرمعقدة، لو لم يتدخل رالف في حياتها! ولكن هل هذه هي الحياة التي تريد ان تعيشها؟ سرحت ساره بأفكارها عبر النافذة في غرفة الجلوس تحلم. نظرت الى الحديقة المليئة بالازهار الملونة، ثم انتقلت بنظرها الى منحدرات كرونيون الخضراء حيث ترعى المعز العشب الاخضر في اسفل الجبل. هناك فلاحات يراقبن المعز من بعيد. هذا المكان الهادىء دليل على عبقرية اليوناني في اختيار مكان الالعاب الاولمبية. كانت تعتقد ان بلاد اليونان بلاد جبلية متوحشة وقممها شاهقة ولكنها وجدت في اولمبيا المناظر الرقيقة الهادئة. من غير الممكن لمن يعيش هنا ان لا يتأثر بروعة المكان ويشعر بالسلام. تنهدت ساره وهي تحس التغيير الذي انتابها في داخل نفسها، اصبحت تعرف جيداً ان اليكس لم يكن يعني لها اي شيء وكذلك رودي. لم تخسر شيئاً مهماً ولكنها استعاضت عن معدن غير اصيل ببريق الذهب الخالص. تنهدت، ونهضت من مكانها، لو ان

زوجها يرق ويلين. . . لو انه لا يلتقي اديل ولا يحبها.

وصلتها رسالة من اهلها في لندن. فتحتها ساره بيد ترتجف، كان رالف يراقبها وهو يقرأ بريده. سألها باهتمام.

ـ ما هي الاخبار؟ اخبار سيئة؟

ـ ليس تماماً. اصابت والدي نوبة قلبية اخرى. صمتت قليلاً ثم اكملت: لقد عرف اخيراً انه كان قاسياً في حكمه علي يوم اصر على زواجي منك.

ـ هل تعنين انه ندم. قال بقساوة: لقد تأخر قليلاً!

ـ تقول والدتي انه يتآكل قلقاً علي.

قال رالف يخاطبها بجفاء. اسلوبه في الكلام اثار غضبها:

ـ دعيه يقلق، لا نستطيع ان نفعل له اي شيء. لقد تزوجنا وهذه حقيقة باقية.

ـ من الواضح ان زواجنا لا يهمك في شيء.

ـ لا تكوني سخيفة، لماذا يصر رجل على الارتباط بامرأة لا يحبها ولا يجذبه اليها اي شيء؟

قالت وقد كظمت غيظها حتى لا يبدو عليها اي انفعال:

ـ ليس من الرجولة ان تقول ذلك.

لم يعلق على كلامها بشيء ولكنه عاد بانتباهه الى الرسالة التي في يدها:

ـ ماذا تقول والدتك ايضاً؟

ـ تقول، ربما نؤكد له سعادتنا الزوجية اذا قمنا بزيارة لهم في انكلترا.

ـ نحن نذهب لمنزلكم ونمثل عليهم دور العاشقين؟ قال مسروراً: زيارتنا لهم ستزيد الامر سوءاً.

قالت ساره وقد شحب لونها:

ـ اعتقد ذلك. حاولت والدتها ان تخفي خطورة مرض والدها عنها، ولكنها اكتشفت الحقيقة بين السطور: الا تعتقد اننا نستطيع

ان . . . نتظاهر بالسعادة؟

ـ بالحقيقة يا ساره انا لا استطيع ان اراك الزوجة المحبة المطيعة.

ـ هل كان عليك استعمال كلمة مطيعة؟

ـ حسناً. الزوجة المحبة. هز رالف رأسه ثم اضاف: لن نستطيع ان نتظاهر.

ـ نحاول. لن نبقى اكثر من اسبوع واحد فقط.

ـ اسبوع؟ نحن لا نكف عن الجدال يوماً واحداً!

ـ لكننا استطعنا ذلك يوم خرجنا سوية الى سبارطة.

ـ لو لم اعرفك جيداً لاعتقدت انك تحملين ذلك اليوم شعوراً وعاطفة. لا اعتقد انك عاطفية، هل انت كذلك يا عزيزتي؟

هزت ساره رأسها نفياً. كانت ردة الفعل على سؤاله تلقائية عفوية كأنها تعطيه الجواب الذي ينتظره منها.

ـ ارجوك يا رالف، من اجل والدي. . . نستطيع ان نقنعه بسعادتنا لو جربنا.

ـ استعملي عقلك يا ساره قليلاً. لو لاحظ والدك كراهيتنا لبعضنا لازداد شعوره بالذنب عشرة اضعاف.

ـ انت لم تعط هذا الموضوع تفكيرك الكامل، من الممكن ان نخدعهم. وكما قلت لك نستطيع ان نجرب.

ـ ما الذي سأفعله؟ اخذك بين ذراعي واقبلك امامهم؟ فكري اكثر بالموضوع.

علا الاحمرار وجنتيها ولكنها صممت على ان لا تفقد رباطة جأشها واعصابها، نهضت لتغادر غرفة الطعام بدون ان تتناول فطورها. كانت قد وصلت الى الباب حين ناداها رالف باسمها. التفتت اليه ولم تلحظ ارتعاشها ولا السرور في عينيه السوداوين.

ـ انت تحبين والدك كثيراً يا ساره اليس كذلك؟

ـ انت تعرف ذلك جيداً. كادت الدموع تنهمر من مآقيها من التأثر. مسحت دموعها بسرعة وادارت له ظهرها كي لا يرى

دموعها. امرها:

- عودي وتناولي فطورك.

وقفت مكانها وهزت رأسها نفياً. طلب اليها مرة ثانية ان تعود لتناول فطور الصباح.

- انا لست جائعة.

- لا اعرف لماذا اتحملك! اجلسي وتناولي طعامك!

ولدهشتها فعلت ساره ما امرها بدون معارضة. ربما لأن حزنها على والدها كان يشغل بالها عن اي شيء آخر، راقبها وهي تتناول فطورها بصمت ثم قال بهدوء:

- متى ترغبين في السفر لزيارة اهلك؟

نظرت اليه بذهول كأنها لا تصدق ما تسمع.

- ستزورهم؟ اخذت نفساً عميقاً وشعرت براحة بعد القلق، هل ستحاول ان تمثل عليهم بانك سعيد؟

صحح لها قولها:

- سنحاول سوية ان نجعلهم يصدقون اننا سعداء.

بعد ان اتخذ رالف قراره لم يضيع الوقت بل سافرا على الفور، ووصلا انكلترا بعد يومين من القرار. وصلا منزل والديها وقت العشاء وكان والدها لا يزال صاحياً وقد بدا اكثر شحوباً ونحولاً منذ رأته ساره اخر مرة. كان مسروراً لرؤيتها وقد ارتسم تعبير غريب على وجه رالف وهو يراقب لقاءها مع والدها المريض، ضم الرجل العجوز ابنته اليه بوهن ولامست هي وجهه برقة وحنان ثم قبلته وبعد ذلك سلمت على والدتها وقبلتها.

والدتها لا تحب المظاهر، قدمت لساره خدها لتقبلها، ونظرت ساره من جديد لوالدها.

- ما الذي جعلكما تقرران الحضور؟ اراد والدها ان يعرف: كنت متشوقاً لاخباركما اريد ان اعرف اذا كنتما سعيدين. وارى الآن بنفسي سعادتكما ولا لزوم لأن اقلق، كم تناسبك الحياة الزوجية يا

عزيزتي، اجلسي واخبريني كل شيء عن منزلك الجديد. اجلسي قربي هنا على السرير يا حبيبتي.

- دعهما يرتاحان اولاً من عناء السفر قالت والدتها: كانت رحلتهما شاقة وطويلة. ثم التفتت الى ساره وقالت: كنت اريد ان انزلك في غرفتك القديمة ولكننا اغلقنا ذلك الجزء من المنزل، اصبحنا ثلاثة فقط، وضعتكما في الغرفة فوقنا. حقائبكما اصبحت فوق. ارتجفت ساره لفكرة مشاركة رالف غرفة واحدة. ربما تأخذين رالف الى الغرفة يا عزيزتي بينما اكمل تحضير العشاء، الوجبة جاهزة وتحتاج بضعة دقائق، سأناديكما متى يجهز العشاء.

لم تجرؤ ساره على النظر الى رالف لأنها كانت واثقة بأن رفيف قلبها لن تخفى اسبابه عليه. نظرت ساره الى والدتها منشغلة، كانت متحمسة جداً لزيارة اهلها حتى انها نسيت ان تعير مسألة نومهما اي انتباه وحتى لو فكرت بالأمر فشقتها واسعة وهناك غرفة للثياب مجاورة لغرفة نومها وبها اريكة كبيرة مريحة.

- هل هناك اي مشكلة؟ سألها والدها وهو ينظر اليها متعجباً: يبدو عليك الشحوب.

اجابته وهي تحاول ان تخفي قلقها:

- لا. ليس هناك اي مشكلة. ثم خاطبت رالف قائلة: هل تأتي معي؟

بقيت ساره تتجنب النظر اليه، كان رالف مسروراً جداً ينظر اليها يقيم تصرفاتها، هل فكر هو بهذا الأمر؟ ربما. لكنه لم يذكر لها اي شيء من هذا القبيل.

مشت امامه كأنها في غيبوبة، صعدت السلالم العريضة ودخلت الغرفة، ثم التفتت اليه قائلة:

- لم اعتقد اننا سننام هنا سوية، ماذا سنفعل؟ جميع الغرف الاخرى مغلقة. وهذا يعني ان الغبار يكسوها والاسرة غير مفروشة ولا استطيع ان اتسلل في ظلام الليل الى غرفة ثانية، ماذا ستفعل؟

ثم التفتت اليه بارتباك: هل لديك اي اقتراح؟

- نعم. قال عابساً: ولكن اقتراحي لا يوافقنا. سأبقيه لنفسي.

علا الاحمرار وجهها. ثم قالت انها ستحضر العديد من الحرامات الصوفية الموجودة في الطابق العلوي ومن السهل احضارها الى هذه الغرفة. قال رالف مستفسراً:

- وما نفع الحرامات بدون سرير او فراش؟

قالت بحماس:

- سأصنع لك فراشاً منها فوق الأرض.

قال ساخراً:

- تنتظرين مني ان انام على الأرض، من الواضح ان آل مالفرن لا يعرفون شيئاً عن اصول الضيافة.

- عليك ان تقبل بالأمر الواقع، انها الضرورة التي تقتضيها الظروف الحاضرة ولا شأن لها بأصول الضيافة.

هز رالف رأسه بانه غير موافق كان شكله ينذر بعاصفة وبأن امام ساره مهمة مستحيلة عليها مواجهتها.

- اي نوع من الرجال تعتقدينني؟ انا لست رودي! لا يا ساره. اذا كان لا بد من النوم على الأرض فأنت التي ستنامين هناك.

- ستتركني انام على الأرض؟ وانت ستنام فوق السرير؟

- طبعاً. حمل حقيبته ووضعها فوق السرير وشرع يخرج اشياءه منها، لا تنتظري اعمال فروسية من آل لينغارد فأنت تعرفينهم جيداً.

وبهدوء اخرج حاجياته وهو ينظر اليها مبتهجاً. اخرج البيجاما والروب ووضعهما فوق السرير.

بدت ساره ضعيفة لا حول لها ولا قوة. صعدت الى الطابق العلوي واحضرت مجموعة من الحرامات الصوفية ووضعتها فوق طرف السرير، لو رأتها والدتها تحملها ستقول لها انها تخاف البرد القارس في انكلترا بعد ان اعتادت دفء بلاد اليونان.

كان رالف متنبهاً في معاملة ساره ومجاملتها خلال العشاء، اخرج

لها الكرسي وانحنى ليقبلها على خدها برقة امام الجميع، علت حمرة الخجل خديها. كان والدها يراقب المشهد موافقاً ومسروراً واحس بعد العشاء كأنه استعاد عشرة اعوام من عمره.

سألها رالف بلطف:

- هل اصب لك كأس ماء يا حبيبتي؟ ثم اكمل: اسرعي قليلاً في طعامك فأنت بطيئة جداً يا عزيزتي.

تعجبت ساره من تصرفاته. هل كان عليه ان يقوم امامهم بهذه التمثيلية؟ نظرت الى والدها. كان مرتاحاً تماماً للوضع يبتسم برضى وهو يرى زوجها يخدمها.

- كنت اتمنى ان اراكما سوية. انها مفاجأة لي يا ساره. بدأت اقلق عليكما وانا افكر اني اجبرتكما على الزواج، الآن ارتحت كثيراً فمن الواضح ان زوجك يحبك يا ساره. وانت يا بني، ألست فخوراً بابنتي؟ انها اجمل فتاة في يوركشاير. الا توافق؟

هز رالف رأسه موافقاً ثم نظر بخبث الى عيني زوجته، ازداد احمرارها وارتباكها. كانت ساره تفكر بوالدها لو عرف ان جمالها لا يروق لرالف ابداً.

- يجب علي ان انام باكراً. كان يوماً متعباً بالنسبة الي. منذ اخبرتني والدتك بحضوركما وانا اترقب وصولكما بحماس وقلق، وانتما يا ولدي، لا تتأخرا في السهر، كانت رحلتكما متعبة وطويلة وعليكما ان ترتاحا.

قبلته ساره ووعدته بأن تحضر لغرفته بعد قليل، بقيا يثرثران قليلاً مع والدتها التي اعتذرت ايضاً لتذهب للنوم لأنها متعبة. دخلت ساره غرفة والدها كما وعدته، وجلست معه تخبره عن مدينة اولمبيا وتجيب على كل اسئلته.

- اعلم انك كنت ترسلين لنا الرسائل بانتظام يا عزيزتي وتشرحين لنا كل هذه الامور ولكن السمع افضل من القراءة، الواضح انك الآن مستقرة وانا اشعر بالرضى وضميري مرتاح. رأيتك بنفسي

وخبرت سعادتك الحقيقية.

عندما وصلت ساره الى غرفة النوم كان رالف لا يزال في الحمام. بدأت تفرش البطانيات فوق الارض لتهيء لنفسها فراشاً منها. كان الغضب يتملكها، ستنام على الأرض في بيت اهلها بينما يتمتع زوجها بفراش وثير. هذه اهانة كبيرة لها! وماذا ستفعل؟ فكرت في ان تنام في غرفة الجلوس فوق الاريكة ولكنها غيرت رأيها لأن شقيقها باري يحضر من حفلاته متأخراً كل يوم، ثم هناك الخدم. سيكون موقفها مدعاة للهزء والسخرية، وستصل هذه الانباء لوالدها وسيعرف زيف علاقتها بزوجها... لا مجال امامها سوى الرضوخ، ستنام على الأرض وكانت لا تزال جاثية على ركبتيها ترتب الحرامات فوق بعضها حين خرج رالف من الحمام يبدو عليه السرور. يلبس البيجاما ويضع فوقها الروب وقد انتشرت في الغرفة رائحة كريم الحلاقة المنعش، شعره مبتل نوعاً ما ومصقول وقد تدلت خصلة صغيرة فوق جبينه.

ـ اتمنى لك الراحة هناك.

قال ذلك ومشى الى رف الكتب ليختار كتاباً. انهى مهمته بسرعة. اخرجت ساره قميص نومها وروبها ودخلت الحمام واقفلت الباب خلفها، وحين عادت كان رالف متمدداً في سريره يطالع كتابه.

وقفت ساره في باب الحمام، كانت جميلة نحيلة تلبس ثوباً للنوم مثيراً وقد عقدت حول عنقها ربطة صغيرة، يتدلى الثوب الى كاحلها وهو مصنوع من قماش ناعم رقيق وقد زين بزهور صغيرة فوق طرفه. شعرها الاشقر النظيف يتدلى فوق كتفيها باغراء وعيناها الزرقاوان تشعان بريقاً فوق بشرتها ... انفرجت شفتاها عن ابتسامة مغرية، نظرت في المرآة الكبيرة وبدت راضية عن شكلها، لماذا تتأكد من جمالها وتضيع وقتها سدى؟ تبدو كصورة كبيرة في برواز الباب، احس رالف بوجودها، ترك كتابه ونظر اليها نظرة سريعة ثم

اعاد نظره الى كتابه من جديد، بقيت ساره تنتظر... جالت ببصرها في الفراغ قرب رالف في السرير وفي كومة البطانيات فوق الارض. تعجب رالف من ترددها رفع بصره وسألها:

ـ هل هناك اي مشكلة جديدة؟

لن تخبره ساره عن سبب انزعاجها، الوضع يغضبها وليس يزعجها فقط. بخبث اطفأت النور في الغرفة وخلعت روبها واستلقت فوق فراشها، سألها بعد دقيقة:

ـ هل استطيع ان اعيد النور الى الغرفة الآن؟

ـ انتظر منك دائماً ان تفعل ما تريد؟

قال بعد ان اضاء النور:

ـ هل ازعجك؟

لم تجبه، رفعت الاغطية الى فوق رأسها محاولة ان تستعد للنوم، الارض قاسية تحتها وبقيت الليل بطوله تتقلب من جنب الى جنب وقد جافاها النوم كلياً. ستبقى على هذا الحال اسبوعاً بكامله مما سيجعل في جسمها كدمات ليس الفراش القاسي وحده ازعجها واغضبها انما ما لحق بها من اهانة. في اية حال لو حاول مغازلتها لصدته كالقطة البرية... لو حاول... ولكنه لم يحاول. وقد انجرحت كبرياؤها وشعرت بالاهانة.

استفاق رالف في اليوم التالي. كانت ساره قد سبقته واغتسلت وارتدت ثيابها وجلست تتأمل، سألها وهو يراقب حركة يديها ونرفزتها الظاهرة:

ـ لقد استفقت باكراً. لم تستطيعي النوم؟

ـ سنتناوب النوم فوق السرير. قالت وهي تحاول ان تضبط اعصابها: انا سأنام هذه الليلة في السرير.

قال ببرود:

ـ لم اقل انك تستطيعين.

ـ هذا منزلي. ذكرته بعصبية: لا يلزم ان اسألك.

ـ بل عليك ان تسألي، وتسألي بلطف ايضاً. قام من الفراش ولبس معطفه فوق البيجاما: حتى لو سألت بأدب، لست متأكداً من انني سأسمح لك بذلك.

بقيت ساره محافظة على رباطة جأشها ولكنها كانت تتمنى ان تضربه بأي شيء قربها.

ـ لن اسألك يا رالف، سأحضر باكراً وانام قبلك في السرير، انا لن انام على الأرض اسبوعاً.

ـ ستنامين في الفراش؟ حاولي؟ اقترب من كرسيها: لو سألت كنت سأفكر في طلبك بجدية ولكن كما هو الوضع الآن يمكنك ان تنامي في السرير وانا ايضاً. لن انام على الأرض ابداً.

قال مسروراً ودخل الحمام وتركها تجلس وحدها تتأمل بما قال تحاول ان تضبط اعصابها قدر المستطاع.

بعد وصولها انكلترا بثلاثة ايام اقترح رالف ان يزور واياها منزل اهله، والداه توفيا منذ فترة وهي لا تهتم لزيارة اشقائه وزوجاتهم. رفضت ساره مرافقته. اجابته:

ـ لينغارد واحد يكفيني.

تضايق رالف من خشونة الفاظها ولكنه وافقها وانحنى يسألها بأدب كيف تنوي ان تقضي هذا النهار.

ـ سأزور صديقتي فاليري وآخرين غيرها.

ـ اصدقاء ام صديقات؟

ـ هذا من شأني! تعجبت ساره من سؤاله واحست برعشة خفيفة في قلبها.

قال:

ـ نتقابل على العشاء مساء.

كانت فاليري سعيدة بلقاء ساره. وسعادتها واضحة في منزلها الزوجي. تغسل اكوام الغسيل وقد وضعت الغسالة الكهربائية في وسط المطبخ في عملية روتينية.

ـ سأعمل قهوتنا. اجلسي ان وجدت مكاناً فارغاً. اخبريني عنك. اخبريني كل شيء. هل رالف يعاملك معاملة حسنة؟ كيف حصل وتزوجت من آل لينغارد بعد ان اقسمت ان لا تتزوجي الا من رجل سهل القياد. كنت دائماً تعترفين ان رالف اسوأ اخوته خلقاً، وعندما كتبت لي انك تزوجته كانت مفاجأة لي بل صدمة لم انتظرها. . . انتظري قليلاً سأجلب الحليب. خرجت فاليري وادخلت ثلاث زجاجات من الحليب الطازج من امام باب المنزل: ماذا كنت اقول؟ اوه. كنت اتكلم عن زواجك السريع. . . كان رودي يخبر عنك ابشع القصص. لم اصدق كلمة مما قال عنك. ثم انتقلت فاليري الى موضوع آخر وقالت: لم تخبريني عن هذه القصة في رسائلك، كتبت فقط عن منزلك الجديد وعن صديقتك هايلي.

ـ لا اعرف من اين ابدأ. انت تسألين عدة اسئلة مع بعض.

ـ اعرف ذلك لانني متحمسة جداً لرؤيتك، لم اكن اظن انك تتزوجين وترحلين بعيداً. ربما نزورك انا وغراهام عندما يكبر الأولاد.

سألتها ساره:

ـ الأولاد؟

ـ نرغب في انجاب اثنين او ثلاثة. ولن نجعل مسافة زمنية طويلة بين الولد واخيه. سننتظر عدة سنوات قبل ان نأخذ اجازة ولكننا سنزورك في اليونان يوماً ما. بدأت تحضر القهوة.

ـ هل انت سعيدة يا ساره؟ هل . . . تحبينه؟

ذكرتها ساره:

ـ قلت سابقاً انني لن اتزوج عن حب.

ـ وايضاً قلت انك لم تتزوجي رجلاً لا تستطيعين قيادته، لا يا ساره لا تقولي انك تقودين رالف لانني لن اصدق!

ـ انت لا تعرفينه ولم تلتقيه.

ـ ولكنني اعرف شهرة آل لينغارد وانت بنفسك قلت انه

اشرسهم. . . هل تزوجته عن حب؟

ـ لا.

سألتها فاليري بالحاح:

ـ اذن لماذا؟

هل تخبر ساره صديقتها فاليري بالحقيقة؟ من المؤكد انها ستخبر زوجها غراهام بالأمر. لا بأس. لن تنتقل قصتها ابعد من ذلك، اخبرت ساره فاليري قصة خطفها وتفاصيلها وكانت تضحك ولا تصدق ما حصل معها. . . استغربت فاليري:

ـ ولكن. ولكن في هذه الأيام لا تحدث مثل هذه الاشياء!

ـ صحيح. ولكنها حصلت لي، والنتيجة انني غير سعيدة مع رالف، انه يكره زواجه مني.

لم تذكر ساره اي شيء عن اديل. لا تستطيع ذكرها. . . حتى مع صديقتها فاليري.

ـ كان بامكانك الزواج من رودي. لماذا لم تفعلي؟ هو سهل القيادة؟

ـ هو. . . لقد خذلني. شعرت بخجل كبير من تصرفاته.

ـ لانه لم يفك رقبتك او شيئا من هذا القبيل؟

وافقت ساره. لقد تغيرت ساره كثيراً في اليونان.

ـ لنقل انه لم يقم بأي محاولة لفك رقبتي. رالف كان قتلني على الفور.

شع بريق سرور في عيني فاليري ولكنها لم تعلق بأي كلمة، كانتا مشغولتين بصنع القهوة والحليب لفترة. جلستا سوية حول طاولة صغيرة في المطبخ وقالت فاليري بنبرة غريبة.

ـ هذا اعتراف خطير صادر عنك.

ـ اي اعتراف؟

ـ تقولين ان رالف يقتلك. . . من فترة زمنية قصيرة كنت تقيمين الارض والسماء لفكرة كتلك. كنت لا تسمحين له بان يضع اصبعاً

عليك. صبت القهوة: لقد تغيرت كثيراً يا ساره، انت لست ساره التي اعرفها من قبل.

ـ كيف تغيرت؟

ـ اصبحت شخصاً اخر. هل هو رالف؟ قلت انه لا يحب زواجه منك.

ـ هذا صحيح. هو لا يحب زواجه مني ولا يهتم بي ولا يجدني جذابة ابداً.

ـ انها ليست المرة الأولى التي يجرح فيها رجل كبرياء امرأة بعدم اكتراثه بها.

ـ انا لست مستاءة! اكتشفت ساره بالنهاية انها غاضبة من نفسها لانها تحبه. ضحكت وقالت: هل تعتقدين يا فاليري انني احب رالف؟

تعجبت فاليري:

ـ وانت لا تصدقين!

ـ سيكون ذلك بغيضاً. ـ يجعلني ملكاً له.

ـ تتكلمين عن الملكية. وماذا عن بقية الاشياء الممتعة! كل شيء مع الحب ممتع. . . قالت فاليري وهي تشير الى الفوضى حولها: حتى هذا جزء من الحب ولا اهتم له لانني انتهي من عملية الغسيل في وقت قصير وبعد ذلك اتمتع بالاشياء الاخرى الجميلة.

كانت فاليري تتكلم بصدق عن سعادتها وبدأت ساره تحسدها على ذلك. تذكرت اديل وشحب وجهها.

ـ انت لا تفهمين. رالف لا ينظر الي مرتين. . .

ـ انا لا اعرف السبب. انك جميلة وغراهام يراك جميلة ايضاً.

احمرت وجنتا ساره وهزت رأسها بأنها غير موافقة.

ـ انت اجمل يا فاليري.

ـ هراء. انني انسانة عادية جداً بالقياس اليك.

ـ اعني جمالك الداخلي. رشفت ساره من قهوتها: ان داخل المرأة

اهم بكثير من شكلها الخارجي. انا لست كذلك.

ـ وانتِ ايضاً جميلة من الداخل. بالرغم من مظهرك الخارجي كنت احس بجمالك الباطني دائماً. لقد تغيرت كثيراً الآن، هل ستكونين سعيدة لو احبك رالف؟

ـ نعم. نعم يا فاليري. ساكون سعيدة جداً. كانت ساره مدهوشة من اعترافها.

ابتسمت فاليري بذكاء.

ـ لن يحبني. . . شربت ساره قهوتها واختنقت وهي تبلعها: لن يحبني رالف ابداً.

٩ـ دمعة واحدة لا تكفي!

بعد ان تركت ساره فاليري زارت صديقة أخرى وتغدّت معها، ثم انتقلت لزيارة صديقتين وقبل الرابعة بعد الظهر قرّرت أن تزور آثار الدير، العزلة هناك ووحشية الصخور المرتفعة والهواء البارد يناسب مزاجها الحالي، منذ اعترافها لفاليري وعقلها في دوامة من التأملات، كانت تعرف حقيقة مشاعرها منذ فترة ولكنها كانت تحارب هذه الحقيقة في داخلها، والآن اعترفت ولا يمكنها النكران.

الريح عاتية وباردة، كان شعرها يتطاير في الهواء وكذلك ثوبها، انفردت بنفسها بين الآثار و وصلت الى طرف الصخور الشديدة الانحدار، نظرت الى اسفل حيث الامواج تتصارع على الشاطىء، ابتعدت قليلاً ليس من الخوف ولكن الريح شديدة، وتنخر العظام، لفّت ساره نفسها جيداً بمعطفها وجلست فوق الحجارة، كانت تفكر وتتأمل، لماذا زج رالف نفسه في حياتها؟ لماذا يحب فتاة أخرى غيرها؟ أي حياة تنتظر معه؟ تذكرت فراشها القاسي الذي تنام عليه، يا للذل، لو كان رالف زوجها حقاً. . . انه اناني ومستبدّ ولا قلب له، لن تستطيع عراكه أو الانتصار عليه، اعترفت، الآن لم تعد سيدة نفسها كالسابق، ماذا ستفعل لو كان زواجها عادياً وطبيعياً؟ لن يكون طبيعياً ابداً، لن تحتمل معاملته لها، انها حقاً محظوظة لأن الزواج بينهما ليس عادياً.

مالت الشمس للمغيب وقامت ساره لتنزل السلالم، شعرت أنها تنزل الف درجة وصلت أخيراً لنهاية السلالم، كانت تقطع الطريق عندما التقت رودي، لقد نسي كلياً الطريقة التي افترقا بها أو

الأسباب، حيّاها بحماس وأمسك يديها وهو يكلمها.

- ساره! هل هذه أنت؟ كيف حضرت الى هنا؟ ماذا تفعلين؟ هل أنت في زيارة؟ لماذا أنت وحدك. التفت حوله ثم صمت قليلا، هل تركته وعدت لبيت أهلك؟

افلتت ساره يديها من قبضته وابتسمت له. رودي لا يستطيع ان يتغلب على ضعفه. هذه هي طبيعته:

- لا يا رودي. لم اترك رالف ونحن هنا في زيارة للأهل، سنبقى ليوم أو اثنين. نظر حوله مرة ثانية مستغربا وقال:

- ولكنك وحدك..

- رالف يزور أهله وانا أزور فاليري وبقية الصديقات، افترقنا هذا اليوم، وساعود الآن للبيت. لقد وعدت بالعودة قبل العشاء.

كان الهواء بارداً، لفت ساره نفسها في معطفها، ولاحظ رودي ذلك وقال لها:

- تعالي معي نتناول الشاي يا ساره. لم يحن وقت العشاء بعد. ساوصلك بسيارتي لمنزلك قبل موعد العشاء.

- لا أعتقد ذلك.

- نذهب الى مكانك المفضل، تعالي يا ساره. تحتاجين لفنجان من الشاي، انك ترتجفين من البرد.

- نعم أشعر بالبرد، أعترف.

- اذن، تأتين معي؟

كان صوته يقطر محبة. أمسك بذراعها بلطف ورقة يداعبها بحنان. لم تكن ساره متحمسة لمرافقته ومع ذلك وافقت، كان ملحاً في طلبه، وهذا ما تحتاجه لمداواة كبريائها المجروحة. رودي يعطيها الثقة بنفسها وبأنها مرغوبة على عكس زوجها الذي يصرّ على انها تفتقر لأي جاذبية أو جمال.

جلسا في مقهى صغير. أحست ساره بدفء نظرات رودي وقد امطرها بعبارات المديح والاطراء، مر الوقت سريعاً انضم اليها

بعض المعارف والاصدقاء وضج المكان بالضحك والمزاح... كالسابق. تذكرت ساره حياة الحرية والمرح قبل ان يدخل رالف حياتها ويعقدها... بل ويوجع قلبها.

شعرت ساره بكره لحياتها في اليونان، انها تأنفها لمراراتها. لماذا انتقم منها رالف؟ كان حق من حقوقها المشروعة ان ترفض اليكس، ستخبر رالف القصة يوماً ما وسيعرف عندئذ انها لا تستحق الانتقام وربما سيندم على ما فعله معها. يندم بمرارة، لا... هو لا يعرف معنى الندم في حياته.

- قولي نعم يا ساره. زوجك لن يمانع، مرة واحدة فقط.

كان احد افراد الشلة يخاطبها وهي سارحة في تأملاتها كعادتها. سألت واحداً منهم:

- ماذا؟

- استفيقي. قال رودي يحاول استفزازها: أنت تحلمين في النهار، سنذهب الى العشاء في مطعم الزرع، الشلة كلها تريدك، نعيد ذكريات الماضي.

- لا أستطيع، وعدت أن أعود قبل العشاء، سيخيب أمل والدي.

قال رودي وهو ينظر اليها عن كثب:

- ظننت انك وعدت زوجك للعشاء.

- نعم يا رودي، وعدته ولن أستطيع ان ارافقكم.

لقد تذكرت ساره هذا المطعم الذي أخذها اليه رالف ليلة زواجها، تذكرت ان رالف أخبرها عن اديل هناك. لا تربطها بهذا المطعم أي روابط عاطفية تريد ان تتذكرها. قال احد افراد الشلة ملحاً:

- تعالي، انها مرة واحدة سنخرج فيها معك، نمرح ونستعيد ذكرياتنا.

- لا أعرف، الامر صعب جداً.

كانت تفكر ساره بوالدها، ماذا سيقول لو بقيت على العشاء مع اصحابها بدون رالف؟

ـ لا شيء صعب عليك. قال رودي يحمسها: ساصحبك للبيت الآن ثم أمر عليك بعد أن تبدلي ثيابك.

بقيت ساره تصر على الرفض والشلة بأكملها تقنعها، احست بأنها مرغوبة وهو احساس مثير لم تعرفه منذ تزوجت.

ـ لا أعدكم ولكنني سأرى ردة الفعل عند والدي، اذا كان لا يوافق فلن احضر.

ـ حسناً. قال رودي: الن يمانع زوجك؟

ـ لا. لن يمانع ابداً.

أوصلها رودي الى البيت ووعد بأن يمر عليها في المساء.

ـ لنْ اعدك، ولكن سأحاول جهدي مع والدي، اذا فشلت سأتصل بك هاتفياً معتذرة.

كلّمت ساره والدها بأمر العشاء مع اصدقائها القدامى ولدهشتها تفهم الوضع ولم ير انّ هناك اي مشكلة او خطأ في تصرفاتها، انها امسية واحدة ستمضيها مع اصحابها القدامى.

ـ انت لم تريهم منذ فترة طويلة، سيكون ذلك مسلياً لك، ورالف لن يرغب في مرافقتك لأنه لا يعرف احداً منهم، هو جدي ورصين وأكبر سناً منهم، طباعه تختلف عن طباعهم.

ـ وانت يا والدي، هل انت متأكد بأنك لا تمانع في عدم مشاركتي لكم عشاءكم.

ـ نعم يا عزيزتي، اذهبي وتمتعي بوقتك، فرصة ان تجتمعي بهم مرة قبل سفرك.

استعدّت ساره للعشاء. اخرجت فستاناً كانت تركته في انكلترا ولم تحمله معها الى اولمبيا لأن رالف لا يوافقها على ارتدائه، كان مفتوحاً عند العنق وقصيراً جداً. ارتدته بسرعة وهي خائفة ان يحضر زوجها ويراها على هذا الشكل قبل أن تغادر، حضر رودي لحسن

حظها قبل رالف، وضعت ساره حول عنقها فراء ثميناً وركبت السيارة قربه وانطلقت مسرعة بهما.

خلال العشاء اقترح أحد افراد الشلة ان يكملوا السهرة في منزل رودي حيث تقام حفلة كبرى. تحمّس الجميع لهذه الفكرة، قامت ساره تتّصل بوالدها لتخبره أنها ستتأخر في الحفلة ولن تعود إلاّ في الساعات الاولى من الصباح. قال والدها:

ـ لا بأس يا عزيزتي، كنت دائماً تسهرين في السابق معهم وتتأخرين، أنا أفهم. ولكن ما رأي رالف بالأمر؟ هل يمانع؟

ـ لا أظنه يمانع انه لطيف ولن يرضى أن يزعجني او يمنعني من التمتع بسهرتي مع اصحابي، لن يهتم حتى لو بقيت الليل بطوله خارج البيت.

ـ حسناً، سنراك وقت الفطور غداً صباحاً.

ـ نعم. اعتقد ذلك. اين رالف؟

ـ انه يلعب البليارد مع شقيقك باري فوق، تناولنا عشاءنا باكراً وهما يمضيان الوقت باللعب.

ـ اوه. . . تنهدت ساره فرحة. من حظها ان زوجها بعيداً عن التلفون: مساء الخير. انتبه لنفسك يا والدي.

ـ وانت يا عزيزتي انتبهي لنفسك. مساء الخير.

خلال السهرة وجدت ساره ان الحفلة لا تروقها، لم تكن كما انتظرت. الوقت يمر ببطء وبدأ الملل يتسرّب لنفسها، سألت رودي ان يوصلها الى البيت لأنها غيّرت رأيها ولن تذهب الى منزله لتكمل الحفلة مع الشلة هناك.

ـ تعودين للمنزل في هذا الوقت المبكر، يا الهي، ماذا حصل لك يا ساره كي تتخلفي عن حضور مثل هذه الحفلة؟

كان أغلب اصحابها في حلبة الرقص، الجو خانق وسحب الدخان تزيد المكان تلوثاً، تذكرت ساره هواء اولمبيا النقي ورائحة الحور الذكية. كان عليها ان لا تحضر معهم. اذ لم تعد هذه الحياة

تعجبها، كان لا بدّ من تذوق طعم الحياة الماضية مرة ثانية لتتأكد من أنها لا ترغب فيها ابداً، الآن تعرف جيداً الحياة التي تريدها والتي تعجبها، حياتها الجديدة ليست ملكها بعد اليوم، بلعت ريقها بصعوبة.

- يجب ان اعود الى البيت يا رودي. انني متعبة ولا أستطيع ان اكمل السهرة معكم في منزلك.

بدأ رودي يتأفّف بطريقة وقحة، أراد ان يجرها اليه بقوة، لكنها ابتعدت عنه. ماذا كانت تحب فيه؟ بدأت تتفحص شكله الشاحب وذقنه الطرية ولون عينيه، كيف كانت ستمضي العمر برفقته؟ ارتجفت لهذه الفكرة، نعم كانت ستكون هي الآمرة في علاقاتها... ولكن... فجاة أحست أنها ممتنة لرالف لأنه انقذها من الزواج برودي. انها مدينة لرالف بهذا الفعل، نعم لقد انقذها منه! ابتسمت وهي تتذكر رالف. تتذكر اهانته لها يوم خطفها، يومها تمنت أن تفلت من أسره وكانت تجهل ان اليوم سيأتي حين تشكره لما فعله معها يوم أجبرها على تمضية الليلة برفقته على متن السفينة «حسناء المحيط».

- خذني فوراً الى البيت يا رودي، تسمرت في المرقص، لقد اكتفيت. عدت لا أحتمل المزيد.

قال رودي:

- حسناً... يا الهي ماذا يريد هذا الرجل؟ كان يتلمس فكه الذي كاد ينخلع من وجهه بعد ان سدّد له رالف ضربة قوية، التفتت ساره والتقت عيني زوجها السوداوين والشرر يتطاير منهما. كان رالف يقف في وسط المرقص قربها. تذكرت أنها لو لم تكن واقفة هناك لكان تقدم وجرها من مقعدها بنفسه، خافت وتقدمت منه، نسيت ما حلّ برودي ونسيت كذلك بقية الشلة.

- والدي... هل حدث له مكروه؟ شحب لونها. قلبها يضرب بشدة وسرعة:

- هل... مات؟

قال رالف غاضباً:

- لا. اجلبي سترتك بسرعة!

- والدي... نوبة...

- هو ينام في فراشه. اجلبي سترتك!

كانت كلماته تخرج من بين اسنانه، كان برجاً من الغضب، لماذا؟ حتماً ليس لأنها ترقص مع رودي والاصحاب فهو لا يهمه ما تفعل، لا يكترث لها. ولا مرة سألها اين تذهب او مع من.

كان صوتها يرتجف:

- لماذا حضرت؟

- هل تحضرين سترتك ام تذهب بدونها؟ صوته خشن يثير الرعب، تذكرت خوفها منه يوم كانت طفلة تلهو على الشاطىء، كان يتقدم باتجاهها فتركض خائفة منه ولا تقف إلاّ عندما تبتعد عنه مسافة كبيرة. كانت تخافه وتعتقد انه يسر لخوفها منه.

لا تستطيع الآن ان تهرب منه، وقفت ساره تتحدّاه بعد ان تأكدت ان لا مكروه قد حصل لوالدها... لماذا اقتحم السهرة، لماذا اراد ان يظهر استبداده لها أمام رفاقها، لن تتحمله، لقد حضر حتماً لاهانتها أمام اصحابها وشلتها.

- لن اخرج الآن. سنذهب من هنا للسهرة في منزل رودي، لا اعرف متى أعود للبيت! كانت واثقة أن بعض الناس حولها بدأوا يهتمون للمشهد، بعض رفاقها تجمّعوا حولها، كذلك حضر بعض الخدم ومعهم شخص ضخم الجثة ينتظرون أن يطرد رالف خارج الفندق اذا اقتضى الأمر.

- هل ستحضرين؟ أم أجرك جراً الى الخارج! كانت ساره تعرف جيداً انه يعني ما يقول، لقد غلبت على أمرها مرة ثانية، عليها أن ترضخ للأمر الواقع، لا يمكنها ان تثير فضيحة أمام الناس ستشعر

بالاهانة حتماً. نظرت الى رودي وودعته وهي تؤكد له بأنها ستراه مرة ثانية، لم تودع الآخرين لأنّ رالف قد نفد صبره بدون شك، خافت أن ينفّذ تهديداته ويجرّها خلفه جراً.

استعار رالف سيارة باري. ركبت السيارة قربه.

- ماذا تقصد بعملك هذا؟ تعاملني هكذا أمام اصدقائي، أنا حرة أفعل ما أريد، لا يحق لك ان تتدخل في حياتي؟

- لي كل الحق. أنا زوجك.

- أنا لا أتدخّل في حياتك، قلت لي انني أستطيع ان افعل ما اشاء. . .

- غيّرت رأيي.

انطلقت السيارة في الطريق العام ثم انعطفت الى طريق جانبية. وجد رالف مكاناً واسعاً فأوقف السيارة وقال:

- الآن. سنتشاجر هنا، لا نستطيع ان نوقظ كل أهل البيت على صراخنا.

- أنا لا أرغب في الشجار معك، ولكنني أريد ان اعرف السبب الذي جعلك تلحق بي. هل لحقت بي لاهانتي أمام اصدقائي؟

- وأنا أيضاً اريد ان اعرف لماذا قلت لوالدك انني لا أهتم اذا امضيت الليل كله خارج البيت؟

سألته:

- اليس هذا صحيحاً؟

- لا. ليس صحيحاً؟

هدأ غضب ساره قليلاً، اعتقدت انه يغار عليها، ربما هي مخطئة. هو لا يريد أن يثبت سلطته عليها أو يشعرها بقوته، فقد برهن لها مراراً عن سلطته وقوته في السابق، هل يعني انه بدأ يهتم لما تفعل؟ انه ولا شك يهتم بها ليحضر في الليل ويعيدها للبيت. نظرت اليه بعفوية وقالت بحنان:

- رالف. لماذا اتيت خلفي هذه الليلة؟ كان صوتها يرتجف مثل

رفيف قلبها: لم تأت لأهانتي؟

تكلم رالف اخيراً بعد ان ذهب الغضب عنه ولكن صوته ما زال قاسياً:

- لن أصرف وقتي في التدخل بتصرفاتك البذيئة. حضرت لأنني لا أريد ان اظهر كأنني رودي آخر. اي نوع من الرجال انا كي اسمح لزوجتي بالبقاء خارج البيت؟ لا احب ان يعتقد آل مالفرن بأنّ ابنتهم تديرني باصبعها وتتصرّف على هواها.

قالت ساره وقد تملكتها خيبة الأمل:

- اذن حضرت لتحمي ماء وجهك. . . من أجل المظاهر!

ألقت برأسها الى الوراء. لماذا سمحت لهذه الافكار ان ترد لذهنها؟ لماذا تأملت انه ربما بدأ يهتم بها بل يغار عليها، فهي تعرف بانه لا يحبها بل يكرهها بشدة. لقد تغيرت كثيراً وظهرت على حقيقتها لطيفة رقيقة حساسة ومحبة. والآن. . . مهما حاولت معه من جديد فلن تستطيع أن تغير أي شيء في حياتها معه. تعجبت من اهتمامه المفاجىء بها ونسيت وجود اديل في حياته. حتى لو أحبها رالف ستشاركها اديل في حبه دائماً.

- لا أحتاج لانقاذ ماء وجهي، الجميع بمن فيهم آل مالفرن يعرفون أنني استطيع قيادة زوجتي حسب رغبتي. ثم اضاف بلطف وحزم: هذا يعني انك ستنفّذين أوامري بحذافيرها لنهاية زيارتنا عند أهلك. اذا خرجت فستخرجين برفقتي، واذا بقيت في المنزل فستبقين معي.

قال باري يخاطبها وينتظر منها الشرح الوافي:

- كيف كانت الليلة الماضية؟ انتظرت ان تصرخي طلباً للنجدة.

نظرت ساره اليه عابسة:

- ماذا تقصد؟

- رالف. . . كان كالشيطان من شدّة غضبه حين ترك المنزل، أويت أنا الى فراشي، لم أرغب ان أشاهد الشجار الذي سيحدث

بينكما. ماذا قال؟

احمرّت وجنتا ساره ثم هزت كتفها بدون اكتراث وسألت:

- لماذا تأخر في الحضور؟ لقد اتصلت بوالدي قبل ذلك الوقت بكثير.

- بقينا نلعب البليارد لفترة. حين نزلنا كان والدي على وشك النوم، أخبره ان لا ينتظرك قبل ساعات الصباح الاولى لأنك ستذهبين لحضور حفلة مع رفاقك في منزل رودي، يا الهي، تعابير وجه زوجك أصبحت مخيفة، كنت انتظر فعلاً ان تستدعيني لحمايتك منه.

سألته:

- وهل كنت تستطيع حمايتي؟

- هل تراهنين! لن أترك أحد ابناء آل لينغارد يضرب شقيقتي!

ضحكت ساره من قوله وقالت:

- لن يضربني يا باري، لا تنزعج لهذا الأمر مرة ثانية.

- لست متأكداً. وهو على تلك الحالة من الغضب والهيجان... ربما هدأ غضبه حين وصل الى المطعم. كنت أخاف ان تكون الشلة قد انتقلت الى منزل رودي... فرالف سيكون مجبراً على اللحاق بك الى هناك، هل تتصورين منظر الزوج الغاضب يجر زوجته من منزل خطيبها السابق؟

تنهدت ساره ورضخت لطلبه وأخبرته ما حصل باقتضاب، نظر اليها باري وسألها بفضول:

- كم مرة احتملت انفجار غيرته؟ دهشت ساره لسؤاله: ليس هناك ما يدهش وانت بهذا القدر من الجمال وهو من آل لينغارد، هم متوحشون.

- ليسوا أسوأ منا... هل تعتقد فعلاً انها الغيرة؟

- بدون ادنى شك. لو كنت مكانك احترس اكثر من اثارة غيرته. لانه من غير المعقول ان تثيري غيرته وغضبه بهذا الشكل؟ ربما يفقد

رباطة جأشه يوماً ما وستكونين انت الخاسرة.

لم تسمع ساره ما قاله باري. كانت تتلذذ وهي تفكر بأن زوجها يغار عليها، بأنه يهتم بها ليمنعها من السهر مع اصدقائها في حفلة رودي وأنّ شقيقها باري يؤكد لها غيرته عليها...

تمتمت كأنها تفكر بصوت مسموع:

- ألم تظهر عليه الغيرة من قبل.

- هي أول مرة تظهر عليه الغيرة، أليس كذلك؟ ربما لم تعطه فرصة ليغار عليك من قبل، واذا قبلت نصيحتي لا تحاولي مرة ثانية اثارة غيرته فربما يضربك يوماً ما.

- سأحمي نفسي بنفسي لو حاول!

- تستطيعين ذلك مع شخص غيره ولكن ليس معه. انه من آل لينغارد. كلهم أقوياء وهو الأشد. الا تذكرين كيف التقيتما؟ كنت دائماً تفضلين رجلاً سهل القيادة. صمت قليلاً ثم سألها: اخبريني يا ساره كيف تورطت معه؟

- انت تعرف كل شيء.

قالت وهي تغض بصرها ورأسها الى الأرض خجلاً.

- اعرف أنك امضيت الليل معه ولكن كيف تعرّفت اليه؟

نظرت اليه واحمرّت وجنتاها. كان زوجها يقف في الباب، نظر هو الآخر وراءه. انزعج باري كثيراً لان صهره قد سمع ما دار بينهما من حديث، تقدم رالف الى ساره وتكلم معها بلطف:

- هل تتركينا قليلاً يا ساره؟ أريد ان اتحدّث مع باري على انفراد.

- طبعاً.

نهضت من كرسيها وهي تتساءل عن موضوع الحديث الذي سيدور بينهما. ثم خرجت. في وقت لاحق أخبرها رالف انه افضى بحقيقة علاقتهما الى شقيقها باري، أخبره القصة بحذافيرها. قالت متضايقة:

- هل اخبرته انك خطفتني؟ لماذا؟ سيخبر والدي بالأمر.

قال رالف:

- كنت أريد ان أخبر والدك بنفسي. حان الوقت ليعرفوا الحقيقة.

هزّت رأسها غير موافقة وهي تتأمل وقالت:

- ولكن لماذا؟

- لأنني لا أرغب في ان يظن اهلك بأنك فتاة مستهترة عابثة.

- انت... تهتم بما يفكر أهلي بي؟ أنت فعلاً ترغب في ان يعرفوا الحقيقة وانني لم أفعل اي شيء يسيء الى سمعتي؟

قال بجدية:

- نعم يا ساره، انا يهمني هذا الأمر.

- كيف تقبّل باري هذه الحقيقة؟ الم يغضب منك أو يثور؟

ضحك رالف لكلامها واجاب:

- كنت اعتقد انه سيطردني ولكننا نعيش في عصر متمدن. والاّ لكنت خسرت زوجك وشقيقك في معركة تدور بيننا.

- كنت ستقاتل حتى الموت من أجلي؟ نظرت اليه خجلة: لم يكن لديّ علم بأنني اساوي كل ذلك.

نظر اليها عابثاً وكانت هي راضية مطمئنة. قال:

- هل ترغبين في بعض المديح؟

ابتسمت قليلا، قالت:

- انت آخر رجل انتظر مديحه.

كانت تتمنى ان يكون أول رجل، بل الرجل الوحيد الذي يمدحها. صمت لفترة، ثم قال بصوت رقيق حنون لم تسمعه ساره يتكلم بهذا الاسلوب من قبل.

- سأفاجئك يوماً ما يا ساره.

ماذا عنى بهذه الجملة؟ نظرت ساره الى وجهه الأسمر الوسيم، بدأ رالف يعود لطبيعته الاخرى التي تعرفها جيداً. عاد لقساوته وصرامته، عاد لشكله الذي أمرها ان تحضر سترتها والاّ سيجرها جراً

من الفندق ان لم تنفّذ رغبته. لماذا ترغب في اهتمامه بها؟ لن تكون حياتها سعيدة معه لو مارست معه حياة زوجية طبيعية. لو أصبحت زوجته... سيكون مستبداً لا يحتمل. سيخضعها في كل لحظة، وسيطلب منها تنفيذ جميع رغباته... متى أراد. لقد تغيرت ساره كثيراً، انها ترغب فعلاً ان يهتم بها رالف وان يتخذها زوجة حقيقية له، ما الذي غيّرها؟ هل في بلاد اليونان؟ لا، لا انه رالف، هو الذي غيرها عن قصد وعن تعمد، غيّرها بدون ان تدري، لقد قرّر أن يغيّرها وان يسحق كبرياءها ويفتتها، لقد نجح فيما اراد، لو تخبره بالتغيير الذي تشعره سيسرّ ويعلن انتصاره.

كيف قام رالف بهذا العمل؟ حاولت ساره ان تتذكّر. ما هي الوسائل التي استعملها والتي مكنته من تغيير طباعها واخلاقها؟ كان يذيقها المتعة في جرعات صغيرة وفي أوقات متقطعة. يريها عيّنة مما يجب ان تكون حياتها برفقته لو كان زواجهما طبيعياً. ويضعها في مواقف عديدة لا يكون لها فيها اي خيار سوى الرضوخ لمشيئته ورغبته. كان في تلك اللحظات مصمماً على تليينها لتلبي طلباته ورغباته وقد نجح بالرغم من مقاومتها الشديدة والعنيدة. هناك أوقات يحتقرها ويزدري انوثتها ويشير الى عدم اكتراثه او لا مبالاته بجمالها وجاذبيتها. هل يعقل انّ زوجها قد صمّم على تحطيمها؟ انه ذكي وداهية، انها تذكر خططه في تمثيليه الانتقام منها، ثم تذكر كيف أعاد الحراب الى نحرها حين رغبت في الانتقام منه وتحميل ضميره الشعور بالذنب.

بدأت تثور، حاولت ان تهدىء من روعها، ان عزة نفسها لا تقهر، نظرت اليه:

- لو اكتشف انك انت... أنت...

ولكنها لم تكمل جملتها سألها رالف مستفسراً:

- نعم؟

- اعتقد بأنك صمّمت على تغيير طباعي!

- انا أغير طباعك؟ سألها ببراءة: عن ماذا تتكلمين. انا لا أفهم.

- كنت تفعل ذلك كل الوقت. . . اوه. أنا اكرهك!

- عزيزتي ساره، لا احتمل نوبة جديدة من نوبات غضبك، ليس هنا، اعتقدت انك تحسّنت كثيراً وشفيت منها. . . .

- تحسنت! نعم هذا ما كنت اقصد، كنت تحاول عن عمد ان تحسّن اخلاقي وطباعي. توقفت. كذلك كان زوجها صامتاً ينتظرها ان تكمل حديثها: استطيع الآن أن أرى كل شيء بوضوح. منذ البداية ركزت همك كله على اخضاعي وتحطيم كبريائي وجعلي متواضعة.

- هل تستطيعين ان تشرحي ذلك؟ حاولي ان تهدئي من روعك وفسري لي تفسيراً عقلانياً، اخبريني عن الخطة التي اتبعتها معك من أجل ان اجعلك متواضعة.

- لقد صممتها بمهارة وحذق، صممت على ترويضي، هذه هي الكلمة المفضلة لديك أليس كذلك؟ كان صوتها يرتجف ولكنها استطاعت ان تبقي غضبها في داخلها: لقد فكرت بطريقة ذكية واستعملت الوسائل الناجعة. . . كيف يمكن ان اكون بهذا الغباء!

- وهل تعتقدين بالفعل انني أضيع وقتي معك؟ هل تقترحين أنني ابذل جهداً لتحسين اخلاقك وكبح جماح طباعك الوحشية؟ انت على خطأ. لن اضيع وقتي في هذه التجربة كي اصنع منك فتاة طيبة.

ضحك وقد احمر وجهه من الانفعال ثم اكمل: لا يا عزيزتي ساره. لا أقبل على نفسي اي مهمة مستحيلة.

زاد بريق عينيها. انجرحت كبرياؤها من كلماته القاسية. كيف يتلوّن هذا الرجل في تصرفاته، منذ لحظة كان رقيقاً حنوناً عطوفاً محباً وقال بأنه سيفاجئها يوماً ما. . . نظرت اليه تتفحصه. عادت تعابير وجهه من جديد تختلف عما كانت عليه، هل هي تتخيّل ذلك؟ هل ندم عما قاله لها؟ مدّ رالف يده لها كأنه يخاطبها ولكن لسوء حظها شعرت بالدموع تكاد تسقط من مآقيها، أسرعت خارجة من الغرفة

تمسح دموعها فوق السلالم، لا يمكن ان يرى دموعها ابداً.

ما الذي أراد رالف ان يقوله؟ هل كان يرغب فعلاً بالاعتذار؟ ابعدت هذه الفكرة من رأسها، ربما كان يريد لها اهانة جديدة او جملة تحمل في طياتها المزيد من المرارة والكراهية. لا يمكن لهذا الرجل ان يقول لها اي شيء جميل. . .

١٠- سأبكي على صدرك حتى أموت

وصل رالف وساره الى اولمبيا مع حلول الظلام يوم الاثنين، كان الوقت مبكراً وطلبت ساره منه ان يرافقها الى المقام الأثري بالقرب من المنزل، رفض رالف لأن لديه بعض الأعمال التي يريد انجازها، تناولا العشاء ثم اختفى في مكتبه ولم تره تلك الليلة. في صباح اليوم التالي كررت طلبها بعد الفطور ولكنه اعتذر مجدداً، سيذهب الى لينغاديا ليرى اديل. اقترح رالف:

- اطلبي من هايلي ان ترافقك.

ثم تأبط تحت ذراعيه ملفاً سميكاً، تمنى لها صباحاً ممتعاً وغادر المنزل، لماذا يحمل معه كل هذه الملفات كلها ذهب لزيارة اديل؟ تعجبت، انها واثقة بأن هذه الملفات لعمله ومن الغريب ان يحملها معه.

بعد أن غادر رالف البيت ذهبت ساره تتمشى وحدها قرب البيت، كانت فرحة بجمال الطبيعة حولها، الصباح جميل والشمس مشرقة والهواء نقي منعش، انه بيتها ولا ترغب عنه بديلا. لقد سرّت في انكلترا في منزل والديها ولكنها افتقدت منزلها الذي أحبته كثيراً، هنا في اولمبيا منزلها، طقس الخريف بدأ يؤثر في المزروعات، قريباً تغطي الثلوج المرتفعات حولها، ما زال العشب أخضر والنهر ينساب ببطء في الوادي، ستفيض الأنهار في الربيع. نظرت الى جبال اركاديان الوحشية حيث ثلوجها الشتوية ستغذي مياه الأنهار وتسقي سيولها الذائبة الوادي بأكمله.

دخلت المقام الأثري، هناك بعض الأشخاص يتجولون، الوقت

مبكّر لحضور السياح، سيبقى الحال هكذا من الآن فصاعداً، قلة من الناس يحضرون الى المقام الأثري، عما قريب سيختفي كل الأغراب من هذا المكان بانتهاء موسم السياحة.

بقيت ساره تتمشى لفترة طويلة بدون هدف، دخلت الى حيث كانت تقام الألعاب الأولمبية منذ ألف سنة تقريباً، الآثار الملقاة وسط الأشجار تزيد معالم الطبيعة رقة وسكوناً، المنحدرات مكتظة بأشجار الحور والسرو تجري من بينها الأنهار لتصل الى أسفل الوادي.

جلست ساره على قطعة من تمثال محطم ملقى على الأرض، شعرت بالسلام والطمأنينة. الشعور نفسه الذي أحسته يوم قامت أول مرة بزيارة هذا المكان برفقة رالف، قديماً كان اللاعبون يحضرون الى هذا المكان قبل عشرة أشهر من موعد الألعاب، يسكنون هنا ويتمرنون ويعدون أنفسهم للتنافس أمام جمهور غفير من أجل الحصول على مرتبة الشرف، الشرف ليس للاعب بل لمدينته كلها ولعشيرته ولأهله، كان الرابح الأول يتوج ويرتفع تمثاله بين تماثيل الأبطال أمثاله، الأبطال الذين ربحوا المسابقات في الألعاب الهيلينية السابقة.

حدّقت ساره من جديد في هيكل زيوس وأعمدته الضخمة وقد دمّر الزلزال معظمها، يقع الهيكل في منطقة ألتس، كان ضخماً جداً ابان عظمته، ومزهريتان كبيرتان من الذهب تزينان السقف. في مكان آخر كان هيكل حيرا. وهو من أقدم الهياكل في اليونان. فيه تمثال لرمز الجمال هرميس والطفل ديونيسوس الذي كان ملقى قرب قاعدة التمثال الذي صنعه النحات براكسيتليس وهناك أبنية أخرى لجهة الغرب منها الاستاد الكبير والبالسترا ومعمل النحّات فيدياس وهو من أشهر نحاتي اليونان قاطبة وتزين أعماله معظم المكان الأثري هناك.

بدأت ساره تمشي باتجاه القرية وقررت ان تزور هايلي. كانت هايلي في الحديقة تعشب، حين وصلت ساره. توقفت عن العمل

وجلست واياها في ظل شجرة وارفة.

- سررت كثيراً لرؤية والدي ولكنني سعيدة برجوعي الى البيت.

- هكذا يكون شعوري حين اذهب لزيارة أهلي، أصبحت أحب هذا المكان كثيراً.

سألتها ساره بفضول:

- كيف حضرت الى هذه البلاد؟

- أتيت الى اليونان للمغامرة او ربما للتعرف على بلاد اخرى غير بلادي، صديقة او أكثر من صديقاتي وجدن عملا هنا، ظننت ان ذلك مناسباً لي قبل ان استقر نهائياً، رغبت في ان اتفرج على العالم الخارجي. ضحكت هايلي: كنت أرغب في ان أعمل فترة في اثينا ثم انتقل لمكان آخر وهكذا، لكنني لم أفلح، التقيت مانولي قبل نهاية السنة وتزوجنا.

سألتها بتردد:

- وأديل. . . هل كانت تعمل معك في المكتب نفسه؟

حولت هايلي نظرها الى الساعة الشمسية الموجودة في وسط الحديقة، تشاغلت بالنظر اليها، ندمت ساره على ذكر اديل لأنه من الواضح لها ان هايلي لا ترغب في الحديث عنها، اخيراً قالت هايلي وهي تنظر الى ساره باستغراب:

- ألم تخبرك أديل أي شيء عن نفسها؟ أعتقدت انها صديقتك؟

الموقف حرج للغاية. هايلي تعرف من دنكان ان أديل ليست صديقتها بل هي صديقة رالف، لقد ذكر دنكان هذه المعلومات لشقيقته وأكد لها ان هايلي كاتمة أسرار وتحافظ على أخبار صديقاتها ولا تحب الثرثرة، أحست ساره بأن هايلي لا ترغب في مواصلة الحديث عن اديل، كان من الصعب جداً على ساره ان تجيب على سؤال هايلي وقررت ان تتجاهل الشق الآخر من السؤال:

- لا، اديل لا تتكلم معي عن نفسها.

- نعم، ان اديل منطوية على نفسها ولا تحب ان تتكلم كثيراً. . .

لكن رالف بالتأكيد قد أخبرك شيئاً عنها؟

مرة ثانية وجدت ساره نفسها في موقف حرج ولا يمكنها الاجابة بصراحة على سؤال هايلي، ومع ان هايلي تكره الثرثرة الا انها اظهرت بعض الفضول في موضوع ساره، رالف، اديل. هذا المثلث وترابط العلاقة بين أشخاصه. هايلي واثقة من أخلاق صديقتها اديل ولكنها تبدي بعض الفضول، هل غيّرت رأيها بأخلاق صديقتها؟ هل بدأ الشك يساورها؟ هل هناك أي أساس في ما قاله دنكان على ان علاقة أقوى من الصداقة تربط اديل برالف؟

قالت ساره صادقة:

- رالف لا يتكلم عن اديل.

ثم سألت هايلي اذا كانت تعرف كيف وصلت اديل للعيش في لينغاديا.

- هل تحمل اديل دماً يونانياً؟ هكذا يقول رالف!

- اعتقد ان أحد جدودها من اليونان، لقد ورث والداها هذا المنزل في لينغاديا منذ سنين، والداها عجوزان وتعيش معهما، كان والدها يصر على العيش في المنزل الموروث حين يتقاعد، مادياتهم جيدة وكما تعرفين، تعمل اديل عند رالف من اجل ان تتسلّى وتكسب مصروفها.

دهشت ساره للمعلومات الجديدة. . . اديل تعمل عند رالف؟ من اجل ذلك يحمل معه كل هذه الأوراق والملفات عندما يذهب لزيارتها؟

- أنا. . . لا اعرف ماذا تعمل عنده! قالت ساره وهي تضحك من الدهشة: رالف يرفض ان يتكلم في شؤون العمل وعندما يحضر للبيت يترك العمل وراءه وينساه.

- اديل تساعده في مسك حساباته، تعمل في منزلها، كنت أجهل ذلك ولكنها اخبرتني بنفسها يوم التقينا في منزلكم، لماذا لا يبحث زوجك معك شؤون عمله؟ هذا غريب، مانولي يسره ان يخبرني كل

شيء عن عمله يومياً، وأنا أريد ان أعرف كل شيء عنه، وكيف يمضي يومه، انه جزء من الحياة الزوجية.

هذا صحيح، ان الالفة بين الزوجين تزيد نتيجة هذه الأحاديث وتقرّب الزوجين من بعضهما هذا مخالف تماماً لما كانت تؤمن به ساره. كيف كانت تعتقد ان الحياة مع شخص مثل رودي سترضيها.

مهما كانت عواقب زواجها من رالف وخيمة ومهما تفتقد من السعادة الحقيقية الا انها مدينة له في انقاذها من زوج تافه مثل رودي. كانت هايلي صامتة تراقب قمم التلال. حدّقت ساره بها، انها جذابة، وتبدو راضية سعيدة في حياتها الزوجية، التفتت هايلي فجأة وابتسمت، كانت سارحة بعيداً في أفكارها.

هو الحب، انه يجعل المرأة نضرة حالمة ويملؤها سعادة، هايلي سعيدة، وكذلك فاليري، ربما كانت ساره ستجد الزوج المناسب لو لم تكن تؤمن بأفكار غريبة بل غبية حين كانت تفتش عن رجل سهل القيادة، ولكنها وجدت فعلا الرجل المناسب لها انه رالف، وهي تريده بكل جوارحها، فهو سبب وجع قلبها وحزنها، ما الفائدة، هي تريده وهو لا يريدها؟

قالت هايلي تعتذر عن سرحانها:

ـ أنا ومانولي عاطفيان، ودنكان لا يحتمل حبنا.

ـ لا أعتقد ذلك. قالت ساره وهي تبلع ريقها: انه ممتع ان يحب الزوجان بعضهما مثلكما.

تأخرت ساره كثيراً في الوصول الى هذه النتيجة العاطفية. نظرت اليها هايلي وسألتها بتردد:

ـ منذ متى تزوجت يا ساره؟

ـ منذ خمسة أشهر.

ساد صمت ثقيل، كانت هايلي تفكر، أرادت ان تحل اللغز الذي يربط رالف بأديل. انه الفضول.

ـ هل أنت... ربما لا استطيع ان أسألك هذا السؤال يا ساره؟ نحن لا نعرف بعضنا الا منذ فترة قصيرة، هل انت متضايقة من أديل؟

توقفت هايلي عن الكلام وهي تتمنى لو تشرح لها ساره الوضع بكامله، أكملت هايلي تقول ان دنكان يعتقد بأن علاقة متينة تربط رالف بأديل، ساره بقيت صامتة لا تعرف بماذا تعلق، أكملت هايلي حديثها:

ـ لا يوجد يا ساره أي علاقة غير شريفة بين رالف وأديل، انا واثقة مما أقول، ان أديل فتاة عاقلة ومحترمة ولن تفعل أي شيء من هذا القبيل. وجدت هايلي صعوبة في الحديث بخصوصيات أديل ولكنها أكملت: كانت اديل متزوجة من رجل انكليزي وقد افترقا منذ سنة، ضاعت أخبارها عني بعد ذلك ولكن صديقة لي كانت تعمل معنا في أثينا أخبرتني قصتها بعد ان جعلتني أعدها بأن لا أخبر أحداً، الآن وتحت وطأة هذه الظروف وأنت تشكّين من تصرفات أديل أرى من الواجب ان أظهر لك الحقيقة.

استمعت ساره باهتمام الى هايلي وهي تقص عليها باختصار قصة أديل كما سمعتها بنفسها من الصديقة. قالت:

ـ كانت اديل وزوجها ميشال سعيدين، في يوم من الأيام حضرت فتاة صغيرة تعمل معه في المكتب تبكي بمرارة لأن صديقها قد نبذها، أمضت اليوم في البكاء بعد ان حطم قلبها. أراد ميشال ان يواسيها ويفرج عن كربها فدعاها للغداء، وبعد ذلك اعتادا على الغداء سوية يوميا، ثم بدأ ميشال يسهر معها أيضا في المساء، تمادت الفتاة في غيها ورغبت في الاستيلاء على ميشال وامتلاكه، كانت فتاة وقحة ولا أخلاق لها لأنها كانت تعلم منذ البداية انه رجل متزوج، تولدت علاقة بينهما، عرفت بها اديل وافترقت عن زوجها للحال، المأساة تكمن في ان ميشال ترك هذه الفتاة على الفور بعد ان عرفت زوجته بالأمر ولكنه لم يعد الى اديل لأنه خجل جداً من عمله.

- وهل لا تزال اديل تحبه؟

كان صوت ساره يرتجف وكذلك كانت صديقتها.

- أنا واثقة من ذلك، انهما يحبان بعضهما كثيراً. ماذا تستطيع اديل ان تفعل اذا كان ميشال لا يعود من نفسه؟

هزت ساره رأسها موافقة، انها تمثيلية هزلية مضحكة، يفترقان عن بعضهما بالرغم من الحب الذي يربطهما. سألت ساره بعفوية:

- ولكن رالف! لماذا يهتم بها كل هذا الاهتمام؟ تذكرت ساره كيف كانت تعاملها اديل على انها المفضلة عند رالف والمالكة لأموره وأحياناً تكلمها بوقاحة وتسلّط، طريقتها ليست طريقة انسانة لا تربطها برالف الا زمالة العمل، ثم رالف كان دائماً يصرّح لها بعلاقته بأديل، وبأنها أفضل النساء.. لا بد ان هايلي لا تعرف الحقائق كلها.

- لا اعرف كيف توصل رالف لمعرفة اديل؟

- وأنا ايضا لا اعرف حقيقة الأمر، لقد انقطعت أخبارها عني لفترة، التقيتها بعد ذلك عندكم في المنزل ودعوتها لزيارتي ولكنها للآن لم تحضر.

انطوى موضوع اديل بينهما. مانولي سيحضر للغداء وكان على هايلي ان تسارع لتحضير غداء زوجها. عادت ساره الى البيت.

كانت تعيد بذاكرتها حديث هايلي عن اديل، لا بد ان هايلي تجهل الحقيقة، ان شيئاً ما يربط رالف بأديل... هي تشك بالأمر، لنفترض ان اديل ما تزال تحب زوجها ميشال وكذلك رابطة صداقة هي التي تربطها برالف، ما نفع ذلك لساره؟ ألم يصرح لها رالف مراراً بأنه يكرهها ولا يحبها وبأنها لا تملك أي جاذبية بالنسبة اليه؟

بعد موت والدها بشهر واحد كانت ساره تقرأ قرب المدفأة وتتأمل. لقد أمضت اسبوعين برفقة والدتها في انكلترا ثم عادت الى بيتها في اولمبيا، الخريف حضر قبل موعده، ساره تمضي معظم وقتها في القراءة وتتساءل اذا كانت الحياة لن تقدم لها أكثر من ذلك...

منذ وفاة والدها أصبح رالف أكثر عطفاً ورقة في معاملتها، كان يبقى معها في البيت أكثر من السابق ولكن في غرفة مكتبه معظم الوقت. بعد وفاة والدها أصبحت حرة في ان تترك اولمبيا وتعود لبلدها، أبعدت هذه الفكرة عن رأسها في البداية ومع مرور الزمن تأكدت انه من المستحيل ان تعيش مع رالف في بيت واحد لنهاية حياتها ولا تربطها به أي علاقة، عليها ان تعود لانكلترا، زواجها أبدي وهي غير مستعدة لتقبل هذا الواقع الأليم. انها واثقة من حبها له ولن يكون في حياتها رجل غيره.

رسخت هذه الفكرة في ذهنها مع الأيام، وصلت لذروتها في مساء يوم من الأيام، كانت ساره على وشك ان تدخل غرفة الجلوس حيث كان رالف وأديل يتحادثان، توقفت في الممر عندما سمعت اسمها يذكر، ولكنها لم تتبين ما قيل عنها، انصتت وسمعت الحوار التالي:

قالت اديل:

- انت بدون قلب يا رالف، انك لست عادلا.

- كل شيء في الحب عادل يا عزيزتي.

- هل أنت مغرم صبابة؟

أحست ساره بقلبها بارداً كالثلج حين أجابها:

- كأكثر الناس عشقاً، عندما يحس الرجل انه يستطيع ان يهب المرأة التي يحب حياته ثمناً لهذا الحب.

ضحكت اديل وخيّم صمت. هل كان رالف يعانقها؟ هل انقطع الحديث بسبب عناقها؟

سألت اديل:

- اتساءل. هل حبك بقوة حبي؟

- لا مقارنة أو قياس، الحب عند النساء يختلف.

- غرامهن أعمق...

- لا. لن اعترف بذلك ابداً، هن يظهرن حبهن بسهولة أكبر ويقدمن قلوبهن للرجل ببساطة، الرجل لا يعرف كيف يظهر حبه،

ربما يتأثر الرجل بعواطفه كالمرأة ويتألم بسرعة مثلها، انتبهي يا اديل، كوني عطوفة رقيقة مع حبيبك.

- هكذا سأكون دائماً، وأنت هل ستكون رقيقاً وعطوفاً مع حبيبتك؟

- هذا ما أنويه. . .

صعدت ساره الى غرفتها مسرعة، لم تستطع ان تدخل غرفة الجلوس وتعكر عليهما صفو لقائهما، ستكون دخيلة بينهما في جلستهما الشاعرية. بدأت لفورها ترتيب أمر سفرها الى انكلترا، حجزت مكاناً لها بالطائرة وكتبت رسالة لوالدتها تخبرها بلباقة وحذر ان الانفصال بينها وبين رالف انفصال دائم بدون طلاق. قبل موعد السفر بيوم واحد ذهبت ساره لوداع هايلي، اخبرتها ما سمعته من حديث بين رالف وأديل.

- يجب ان أرحل وأتركهما لسعادتهما كما كانا قبل حضوري، أنا لم أخبرك كل شيء عن زواجي يا هايلي، أعتقد ان دنكان أخبرك ان زواجي من رالف لم يكن زواجاً طبيعياً منذ البداية.

هزت هايلي رأسها موافقة. كانت تفكر بجدية.

- انا لا أصدق ذلك عن اديل مع انك سمعت بنفسك الحديث الذي دار بينهما. انا واثقة بأن اديل تحب ميشال كثيراً، لا اعتقد انها تهتم لأحد غيره.

لم تعلّق ساره على حديث هايلي، لقد سمعت بنفسها كيف صارحها رالف بحبه وهي ايضا صارحته بقوة حبها، لقد وعدا بأن يترفقا بحبهما، ليس هنا أي خطأ.

ودّعت ساره هايلي ووعدتها بالكتابة ثم تركتها وذهبت الى المقام الأثري. أرادت ان تمضي بقية يومها هناك في جلسة وداعية تأملية.

في صباح اليوم التالي، يوم السفر، تناولت ساره فطورها مع رالف، انها آخر مرة لها برفقته، كانت حذرة جداً في حديثها معه تتمنى ان لا يتناحرا في الكلام، لا تريد ساره أي شيء يعكر صفو

ذكرياتها الأخيرة معه. انتهت من توضيب حقيبتها حين دخل رالف غرفتها. نظرت اليه وهي تشعر بالذنب لأنها لم تخبره عن عزمها على الرحيل من قبل.

- ظننتك ستخرج كالعادة هذا الصباح، كل يوم أربعاء تغادر المنزل.

لم يجب رالف عن سؤالها. ركّز عينيه السوداوين على حقيبتها فوق السرير وقد اكتسى وجهه شحوباً. سألها وهو يدخل الغرفة ببطء:

- الى أين ستذهبين؟

تنهدت بعمق وهي ترتجف من الانفعال.

- ساعود لانكلترا. . . سأتركك الى الأبد.

- هل يمكنني أن أعرف السبب؟

هزت رأسها نفياً. لا تنوي ساره ان تذكر له أي شيء عن علاقته باديل.

- ان ذلك أفضل لنا، لم أكن استطيع ان اتركك في حياة والدي كي لا أجرحه. الآن وبعد وفاته أصبحت حرة ولا يهمني أي شيء، سأتركك حراً كما كنت قبل حضوري. وضعت تنورتها في الحقيبة واغلقتها: ليس لدي الوقت يا رالف، سيحضر التاكسي بعد دقائق قليلة.

- لقد أعدت التاكسي على أعقابه.

- لماذا أعدته؟

- لن تتركيني يا ساره. ثم استعاد قساوته السابقة وأكمل: انت زوجتي ولقد قلت لك سابقاً ان زواجنا أبدي.

- لا تستطيع ان تبقيني. . . لقد اتخذت قراري. لن أعيش هذه الحياة بعد، يمكنك ان تطلب لي تاكسي آخر ليأخذني الى المطار.

لماذا يطلب منها رالف البقاء؟ فقط ليحمي ماء وجهه! كي لا يتكلم الناس عنه وعن زواجه الفاشل.

سألها:

- هل تأمرينني؟

شعرت ساره بألم في قلبها. كانت تريد ان تذهب بسلام بعد وجبة الطعام بدون اي جدال بينهما، حتى هذا اللقاء الأخير بينهما يتخلله الشجار والعراك؟

- أرجوك أطلب لي تاكسي. وقد بدأت دموعها تتساقط بدون ارادتها، مسحتها بسرعة: لا أريد ان أتشاجر معك الآن يا رالف، لا لزوم لذلك، اذا لم تطلب لي تاكسي الآن لن أصل في موعد الاقلاع و. . .

كانت ترتجف وهي تحاول ان تلبس معطفها، أخذ رالف المعطف منها بلطف ورقة ووضعه على السرير فوق الحقيبة. أمسك بذراعيها برقة ووجهه في وجهها.

- لماذا قررت فجأة ان تتركيني يا ساره؟

لم تستطع ساره ان تجيبه، رقته المتناهية لم تسمعها من قبل.

- قراري ليس فجائياً. كنت أفكر بالأمر منذ مدة، اتخذت قراري وحددت موعد السفر بعد ان سمعتك تصارح اديل بحبك.

احمرت ساره خجلا من هذا الاعتراف وكان عليها ان تكمل حديثها:

- سمعتكما تتكلمان عن الحب وعن الاخلاص والحنان، تواعدتما ان تكونا مخلصين لبعضكما.

- لبعضنا؟ دهش رالف وهو يركز تفكيره: لم تسمعي شيئاً من هذا القبيل.

- كنت خارج غرفة الجلوس. اعترفت. ازداد احمرار وجنتيها: انا لم أقصد ان اتنصت ولكنني سمعتكما بدون قصد. اذكر جيداً انك قلت بأنك ستكون رحيماً بحبيبتك.

- وظننت ان اديل هي حبيبتي التي وعدت بأن أكون رفيقاً معها؟ ولكن اديل ليست حبيبتي.

- ليست اديل حبيبتك؟ ارتجفت: ولكنها وعدتك بالاخلاص. لا

بد انها اديل.

- لقد كتب ميشال لأديل يطلب منها ان يعود اليها، وأعتقد انها الآن سوية.

قالت وهي تعتقد انها لا يمكن ان تكون هي حبيبته. كادت ان تبكي من انفعالها:

- اذن من. . . هي. . . يا رالف؟

- أتمنى ان تكوني أنت الحبيبة التي وعدت بأن أكون رفيقاً معها. . .

قالت من خلال دموعها:

- أنا. . . ولكنك لا تحبني.

كان رالف ينظر اليها نظرة حب عميق، ابتسامته على شفتيه كلها حنان وأمل:

- هل هذا صحيح؟ لا أصدق. . .

نظرت ساره اليه من وسط الدموع التي ملأت مآقيها، كان لا يهمها ان تراه راضياً منتظراً لأنه توصل أخيراً ان يبكيها، رمت نفسها بين ذراعيه وشرعت تبكي فوق صدره، رفع رالف وجهها بلطف وجفف دموعها وعانقها بحنان.

- يا حبيبتي ساره، كم أريدك، انت لا تعرفين كم قاسيت وعانيت. . .

أبعدها عنه قليلا وقد ظهرت القساوة من جديد في عينيه السوداوين:

- لقد ركضت خلفك كثيراً، ظننت انني لن استطيع ابداً ابداً . .

توقف عن اتمام جملته وهو يضحك. عرف انها ستكمل عنه جملته حين قالت:

- ظننت انك لن تستطيع ابداً ان تروضني؟

- يا حبيبتي كل ما أردت هو ان أصنع منك امرأة بكل معنى

الكلمة.

- امرأة تموء.

ورمت نفسها بين ذراعيه واحتمت بصدره تحس دقات قلبه السريعة تتعانق مع ضربات قلبها الخائفة.

- امرأة كلها انوثة هذا ما كنت أريده يا حبيبتي.

عانقها من جديد، لقد اكتملت انوثتها بنظره. قالت عاتبة:

- كنت تريدني؟ ولكنك كنت تصرح لي بانني لا املك اي جاذبية. لم تمدحني بكلمة.

- ولكنني قلت لك ايضا بانني سأفاجئك في يوم ما. هل تذكرين؟

هزت ساره رأسها موافقة: كم أنت جميلة يا ساره، جميلة جداً، لقد رغبت فيك منذ أول يوم رأيتك فيه. لكنني اردت ان أظهر جمالك الباطني ولا أكتفي بجمالك الخارجي، كنت اعرف ان جمالك الروحي موجود في داخلك ويحتاج فقط لمن يظهره للعيان، وهذا ما فعلته، سامحيني يا حبيبتي.

- ليس هناك اي شيء أسامحك من أجله. تمتمت وهي لا تزال تلوذ بصدره:

- ما دمت أنا هي المرأة التي تحبها.

شرح لها رالف بعد ذلك كل شيء عن اديل، كانت تعمل في مكتب صديق له، أخبره هذا الصديق بقصة زواجها الفاشل، طلب مساعدته في ايجاد عمل لها لبعض الوقت، وافق رالف على مساعدتها في تقديم هذا العمل.

- كنا نخرج معاً. ولكن لا تربطني بها اي علاقة جدية، كان عليّ ان اجعلك تعتقدين بوجود علاقة عاطفية بيننا، وقد ساعدتني اديل لأنها كانت تحبك، لقد أحبتك منذ أول يوم رأتك فيه، كانت دائما تقول لي انني بدون قلب لأنني أعاملك هذه المعاملة القاسية.

- وهي على حق. قالت ساره معاتبة: لقد جعلتني أنام على الأرض.

- هذا أصعب شيء قمت به.

عانقها بشوق، كانت تتذكر ذلك الموقف الصعب... كم كان من الصعب عليه ان يتجاهل وجودها معه في الغرفة نفسها. اخبرته ساره أسباب رفضها الزواج من شقيقه اليكس، ظهر الندم على وجه رالف وشحب لونه بعد ان عرف الحقيقة:

- لماذا لم تخبريني الحقيقة من قبل؟ يا الهي كنت لا اخطفك لو كنت أعرف تلك الحقيقة! وكنت لا أجبرك على تمضية الليل معي على متن السفينة.

سألته بحنان:

- صحيح؟

كانت سعادتها تطل من عينيها الزرقاوين.

- يا الهي، ماذا قلت؟ طبعاً كنت أجبرتك على البقاء معي.